جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالب:
-شمار إبتسام

يوم:2020/ /

الصراع في رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي

لجنة المناقشة:

زوزو نصيرة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر –بسكرة-	رئيسا
سعادة لعلى	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر –بسكرة-	مشرفا ومقررا
بن صالح نوال	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر –بسكرة-	مناقشا

السنة الجامعية:2019 - 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــة

مقدمة:

تعتبر الرواية العربية من النصوص الأكثر ازدحاما بالعديد من المعالم الفكرية والحضارية، وأكثرها استحضارا لمظاهر الوجود الانساني عبر العصور، ترصده في كل حالاته، وتعبر عن آماله وهمومه ومشاكله، لهذا جاءت معبرة عن مختلف الصراعات التي تنشأ بين الانسان مع ذاته ومع الآخرين.

ويعد الصراع أيضا من المظاهر التي تميّز في كل مستويات الحياة، له من الخصائص والديناميكية ما يميزه؛ يعبر عن الأفكار والقيم والحريات المتوارثة عبر الأجيال، ويظهرها ويساعد في انتشارها، كما يبرز تلك الأيديولوجيات المتناقضة وشرور النفس وآثامها ويساعد في كشف الجانب الباطني الخفي في العقل البشري بما يحويه من رواسب معرفية واجتماعية.

عمر المنوفي الروائي العربي من بين أولئك الكتاب الذين تزخر كتاباتهم بمختلف مظاهر الصراع وأنواعه، ورواية **وبدأ الظلام** واحدة من تلك الأعمال التي عجّت بمظاهر الصراع الذي أسهم في بنائها وأخذها إلى فضاء أوسع من الدلالات.

أمام هذا الاجتلاب الواسع للصراع **اخترنا** هذه الرواية مجالا للدراسة، وكان الموضوع بعنوان: **الصراع في رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي.**

إن تتبع ظاهرة الصراع في الرواية يساعد على فهم طريقة الكاتب في توصيل المعارف وإزالة اللبس حول مصطلحات البحث، مع عرض طرق تشكل هذا الموضوع في المدونة.

وعليه **يسعى** هذا البحث إلى تتبع تجليات الصراع في رواية **وبدأ الظلام** وطرق تشكله على المستويين الخارجي والداخلي، ونقصد بالمستوى الخارجي هنا الجانب الشكلي للرواية، أي أنه يمس كلا من الشخصية والزمن والمكان. أما المستوى الداخلي فالمقصود منه ذلك المستوى العميق الذي يتقاطع فيه فكر الكاتب مع معارفه وتجاربه وإبداعه.

وما دفعني لهذا العمل عدة **أسباب** منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، والتي من الأكيد أنها ستسهم في إزالة صفة العشوائية عنه. فما هو ذاتي تمثل في:

-الرغبة في البحث في مجال السرد (الرواية).

-البحث في ظاهرة الصراع، للاقتراب من أسواره لفهم أسراره.

وما هو موضوعي تمثل في:

-محاولة معرفة ماهية الصراع وطرق تجليه في الرواية.

-الرغبة في معرفة الميولات الإبداعية **لعمرو المنوفي**.

-الرغبة في تفكيك بناء الرواية في المستويين الداخلي والخارجي.

بعد استعراض هذه الأسباب، أطرح مجموعة من الإشكاليات التي ينهض عليها بناء هذا البحث، وتتمثل في:

ما مفهوم الصراع؟ وما أنواعه؟ وكيف يتجلى في رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي؟ ما هي الطرق التي اعتمدها الروائي في إبراز الصراع داخل هذه الرواية؟.

أسئلة سنسعى للإجابة عنها وفق **خطة** تمّ بناؤها على النحو الآتي:

مقدمة، مدخل وفصلان تطبيقيان، وخاتمة بمثابة خلاصة لما توصلت إليه من نتائج.

المدخل: وهو مهاد نظري، يحمل عنوان: الصراع، مفهومه وأشكاله. تناولنا فيه مفهوم الصراع وتطوره في الفكر البشري، مع أشكاله التي تنوعت بين صراع نفسي واجتماعي وديني، إضافة إلى الحديث عن الصراع في الرواية العربية.

الفصل الأول: عنوانه: تمظهرات الصراع في الشخصية والزمان والمكان. ويتمحور حول الصراع الخارجي في الرواية، وفيه نتطرق، أولا، إلى دراسة تجليات الصراع في الشخصية، (العنوان الأول)، عبر طرح مفهوم الشخصية وصراع البطل مع نفسه ومع الشخصيات الأخرى.

أما العنوان الرئيس الثاني فيتضمن صراع الزمن في الرواية، وفيه نعالج مفهوم الزمن وتجليات الصراع فيه من حيث الصراع بين الزمن الماضي والزمن الحاضر، والصراع بين الزمن الحاضر وزمن المستقبل، وكذا الصراع بين الزمن الماضي وزمن المستقبل.

أما العنوان الرئيس الثالث فسيخصص للصراع في المكان الروائي، وفيه نعرض الصراع في الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.

الفصل الثاني: عنوانه: **أشكال الصراع،** وفيه يتم تتبع الصراع الداخلي في الرواية عبر عدة عناوين وعناصر.

العنوان الأول موسوم ب: الصراع الأيديولوجي (الفكري)، وفيه عمدنا إلى إبراز تجليات هذا الصراع من خلال مجموعة من الأفكار والأيديولوجيات التي بنيت عليها الرواية، انطلاقا من الحدث والشخصيات.

وأخذ العنوان الثاني اسم الصراع الحضاري، والذي تفرع بدوره إلى عنصرين هما الصراع الاجتماعي والصراع الديني.

في حين وسمت العنوان الثالث بـ: الصراع النفسي، وفيه ندرس الصراع النفسي الداخلي من خوف وقلق وحزن وألم، والتي تظهر جميعا عند البطل، أو أحد الشخصيات المحورية.

وكان العنصر الرابع بعنوان: الصراع بين الخير والشر، والعنصر الخامس تمحور حول الصراع بين الموت والحياة في الرواية، في حين ذهبنا مع العنصر السادس والأخير إلى دراسة الصراع بين عالم النور وعالم الظلام.

بعد وضع **خطة** البحث وجدت نفسي ملزمة باختيار منهج أصل به إلى غايتي، فاخترت المنهج الوصفي التحليلي ليرافقني في فصول هذا البحث، مع الاستعانة بالمنهج البنيوي حين تتبعت ظاهرة الصراع داخل البنية العميقة بالوصف والتحليل.

ولابد لهذا البحث أن يعتمد على مجموعة من **المراجع والدراسات** التي ستساعد على بنائه، وأذكر منها:

-صور الصراع في رواية ص لزرياب بوكفة قراءة مضمونية لسامية إدريس، وهو مقال صادر بمجلة "الخطاب" التي تصدر عن مخبر تحليل الخطاب بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، العدد الأول، المجلد 12.

-أنواع الصراع في رواية نجيب كيلاني لأحمد ميساوي.

-تمثيل الصراع في رواية أرض الحي لعبد الباسط المراح.

-الصراع الحضاري في الرواية الجزائرية لصابر حفيظة وأعمر بن صابر نسيمة.

وكسائر البحوث واجه هذا البحث مجموعة من **الصعوبات** هي:

-صعوبة استنباط أوجه الصراع من الرواية كون الحدث ذا بعد فلسفي وأيديولولجي كبير، وقريب للخيال أكثر من الواقع.

-صعوبة تتبع الصراع على المستوى الداخلي للرواية.

- صعوبة التحليل، ووقوعي في مشكلة التكرار، كون الروائي ركز على البطل في إبراز الصراع في الرواية.

هذه بعض الصعوبات التي تم تذليلها بتوفيق من الله تعالى وفضل الأستاذ المشرف الذي أمدّني بالتوجيهات السديدة، وبصّرني بمواضع الأخطاء، الأمر الذي أسهم في النهوض بهذا البحث.

وعليه لا يسعني في هذا المقام إلا أن **أشكر** الله تعالى ونحمده على عونه وتوفيقه، وأشكر الأستاذ المشرف على كل مجهوداته القيّمة، والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه، وإلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث.

- وعلى الله قصد السبيل-

مـــدخـــــل

1. مفهوم الصراع :
2. لغة.
   أ. اصطلاحا.
3. الصراع في الفكر البشري.
4. أشكال/أنواع الصراع.
   1.3/ الصراع النفسي.
   2.3/ الصراع الاجتماعي.
   3.3/ الصراع الديني.
5. الصراع في الرواية.

تمهيد:

كانت ولا تزال الرواية ذلك الجنس الأدبي الأكثر ارتباطا بالواقع ومحاكاة له، عبر بنيتها ترسم لنا عوالم متخيلة ذات أبعاد حقيقية، تلتقي فيها الشخصيات في إطار زماني ومكاني هو موضوع الرواية، تتصارع حينا وتتحاور حينا آخر تحت حدث واحد تتحرك وتنمو شيئا فشيئا.

والصراع ظاهرة فنية، وهو الوقود الذي يتحرك به العمل الروائي، يحضر بقوة في كل الأعمال الروائية، وهو، أيضا، من أساسيات البناء السردي، وقوام الخطاب الروائي.

رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي واحدة من بين هذه الروايات التي كان فيها الصراع ظاهرا وجليا بين ثنايا صفحاتها، وبداية وقبل تتبعه لابد لنا أن نحيط بماهيته وأشكال توارده في الرواية.

1. مفهوم الصراع:

نعرض بداية مفهوم الصراع من الناحية اللغوية ثم الاصطلاحية.

أ. **لغة:** جاء في لسان العرب أن الصراع من الجذر اللغوي (ص.ر.ع)، و"الصرع الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان، صارعه فصرعه بصرعه، صرعا، وصِرْعًا، الفتح لتميم والكسر لقيس عن يعقوب، فهو مصروع وصريع والجمع صرعى، والمصارعة والصّراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه، وفي الحديث مثل المؤمن كالخامة في الزرع، تصرعها الريح مرة وتعدلها أخرى (...)، والمصرع موضوع (...)، وصريع شديد الصرع وإن لم يكن معروفا بذلك وصُرعهُ كثير الصرع لأقرانه يصرع الناس وصُرعه يُصرع كثيرا يطرد على هذين باب وفي الحديث أنه صُرع عن دابة فجحش شقه، أي سقط عن ظاهرها..."[1] .

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط)، ج8، 1996، ص396، (مادة ص. ر. ع).

وقد جاءت لفظة صرعى في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1].

فصرعى في الآية الكريمة أفادت معنى الطرح على الأرض والموت كذلك.

وفي قاموس **المحيط** ورد الصراع على أنه من الصرع، وهو "علة تمنع الأعضاء التنفسية من أفعالها منعا غير تام "[2].

فهو هنا يفيد معنى العلة التي تمنع الحسم من القيام بأعماله، أي تسبب له العجز.

وعلى العموم يمكن القول عن الصراع أنه مشتق من الجذر اللغوي (ص ر ع)، ويفيد معنى الطرح على الأرض، والعلة التي تُقيد الجسم، وتعني أيضا المقاومة والشدة، وله أن يدل على النزاع، الخصام، الخلاف، الشقاق.

ب. **اصطلاحا:** تعددت المفاهيم الاصطلاحية وتنوعت في طرح مفهوم الصراع، ويرجع السبب في هذا إلى تعدد المذاهب والنظريات التي تناولته بالدراسة.

-**<u>عند علماء النفس:</u>** اعتبر الصراع "نزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى، كالصراع بين رغبتين أو نزعتين أو مبدأين أو وسيلتين أو هدفين، أو الصراع بين القوانين أو الصراع بين الحب والواجب، أو الصراع بين الشعور واللاشعور في ظاهرة الكبت"[3].

فالاتجاه النفسي إذن يربط الصراع بالإنسان في كل حالاته ووظائفه في الوجود.

-**<u>عند علماء الاجتماع:</u>** ارتبط مفهوم الصراع عند علماء الاجتماع بالنُظم والعادات والتقاليد التي تختلف من مجتمع لآخر، ويرتبط الصراع فيها "بالصراع الطبقي في الحياة الاجتماعية، فهو اجتماع بين قوى اجتماعية قاهرة وأخرى مقهورة، وهذا ناتج عن فقدان التوازن في النظام الاجتماعي، ذلك أن ظاهرة الصراع الطبقي في المجتمعات المستضعفة

[1] – الحاقة/ 07.

[2] – الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1991، ص56.

[3] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللساني، لبنان، ط1، مج1، 1971، ص725.

تشكل ظاهرة بارزة، حيث تتخذ كل طبقة اجتماعية وكل فئة من الفئات نظاما ومنهجا أيديولوجيا يؤطر فكرها ويحدد مسارها"[1].

وقد تعاملت الطبقة البرجوازية مع باقي الطبقات على أنها طبقة عليا وباقي الطبقات دونها، وبالتالي اعتبرت من بين الطبقات الراقية، الأمر الذي زاد من شدة الصراع بينها وبين باقي الطبقات.

ويرى **السيد قطب** أنه قد "يكون مقدما للتغيير أو ناتجا عنه، فهو أمر وارد في القرآن باسم التدافع والهدف، وبالتالي ﴿لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾*"[2].

وبهذا يكون الصراع فطرة طبيعية خلقها الله في الإنسان، ولولاها لحدث اختلاف في الكون.

-الصراع عند المؤرخين: صب الصراع عند المؤرخين في معنى واحد وسموه بالصراع الحضاري، ومردهم في ذلك أن بعض الأمم القديمة قد حاولت "أن تقيم امبراطوريات أو عولمات لها، وفي القرنين الأخيرين اشتدّ التأثير ودفع بالحروب إلى أن تأخذ طوابع مختلفة منها الإدعاء بالتحضر والتثقيف والتبشير، وما كان ذلك إلا ليكون وجها من وجوه السيطرة وإلغاء الشعوب، وخرائط تكونت على أديم الأرض منذ ملايين السنين"[3].

وبهذا تكون ممارسات التثقيف والتبشير طريقة من طرق الصراع الذي نتج عادة عن السيطرة بكل أشكالها وصورها.

---

[1] – إبراهيم عباس، الرواية المغاربية الجدلية التاريخية والواقع المعيش، دراسة في بنية المضمون، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، (دط)، 2002، ص61.

* – البقرة/ 251.

[2] – فضيل دليو، دراسات نقدية، علم الاجتماع المعاصر، ثنائية النظرية والمنهجية، مؤسسة زهراء للفنون المطبعية، الجزائر، (دط)، 2001، ص79.

[3] – سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات، المنهج-المصطلح-النماذج، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (دت)، ص279.

وفي هذا الشأن يقول **سالم المعوش:** "إن الصراع بين المعسكرات وبين الأيديولوجيات والنظم السياسية والاشتراكية والرأسمالية، والشرق والغرب، والشمال والجنوب، والأغنياء والفقراء، والمركز والمحيط، والاستعمار الجديد، وحركات التحرر الجديدة، قد انتهت لصالح طرف واحد هو الطرف الأول، فقد كان الطرف الأقوى وعلى الطرف الثاني أن يعترف بالهزيمة ومن يخسر الواقع يخسر في الذهن"[1]، وبهذا تنقلب الكفة لصالح الأقوى ليصبح صاحب الحق والآخر هو العدو، وعلى الجميع الاعتراف بذلك.

-**<u>الصراع في الأدب:</u>** إن الصراع في الأدب مرتبط بالعملية السردية، أي بالرواية والقصة، إذ يشكل العنصر الرئيس فيها "تتوالى من خلاله الأحداث تدريجيا إلى نهايتها ويشتمل على عدة خطوات أهمها :

- ✓ **نمو الأحداث وحركتها:** يبدأ الكاتب قصته بالحديث ثم يطوره حتى تصبح القصة حياة متدفقة بالحركة، والقصة الناجحة تسير وفق حركة طبيعية بعيدا عن السرعة والبطأ.
- ✓ **الصراع والعقدة:** وفيها يقدم بعض النقاد العقدة على الصراع ويجعله نتيجة لها، والحقيقة أن العقدة تتكون بعد أن يحسن الكاتب سرد الأحداث وفق حبكة قصصية تعتمد الصراع، متنامية إلى الموقف المتأزم والمشوق الذي ينتظره المتلقي بشغف إلى ما سيحدث بعده، وهو ما يمكن القول عنه احتدام الصراع"[2].

وعلى العموم في المجال الأدبي الصراع "يحمل معنا فنيا نقديا لا يرُاد بها معناها اللغوي الصرف، بمعنى النزاع والمحاربة والمصارعة بين شخصين، فقد يكون الصراع خارجيا بين شخصيات القصة والأفكار والمبادئ التي يعتنقها الأشخاص، أو صراعا داخليا ينمو في الشخصية ذاتها من خلال حيرتها وترددها بين المواقف المتباينة"[3] .

---

[1] – سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات، المنهج–المصطلح–النماذج، ص19، 20.

[2] – كمال غنيم، عناصر القصة القصيرة، الجامعة الإسلامية، غزة، (دط)، 2015، ص01.

[3] – المرجع نفسه، ص02.

2. الصراع في الفكر البشري:

مما لا شك فيه أن الصراع ظاهرة قديمة متجذرة في التاريخ البشري، "إذ لم يخلوا عصر من مظاهر الصراع بمستوياته الكثيرة وأبعاده المتشعبة، والأدب كونه خطابا تمثيليا وتعبيريا عن خلجات الإنسان، فمن اليسير إثبات ارتباطه بالصراع، حيث يشكل الأدب فضاءً للصراع وأداة له عندما يتم تفعيله لصالح طرف ضد طرف في شبكة تعالقات اجتماعية وأيديولوجية غاية في التعقيد"[1].

وإذا تكلمنا عن الصراع بصفة عامة فإننا نجده " في نواحي الحياة المختلفة، في الفكر والحرب، والحب والكراهية، والغنى والفقر، والرحمة والقسوة، والظلم والعدل، وموجود أو منعكس على النفس الإنسانية، وذلك مجال مثير يكتنفه الغموض"[2].

وكل هذه الظواهر هي ظواهر متجذرة في النفس الإنسانية ومرتبطة بالفرد منذ ظهوره، الأمر الذي دعى إلى استمرارية الصراع وتنوعه من زمن لآخر، ومن فترة لأخرى.

وعند بحثنا عن امتداد الصراع فكريا وجدناه يمتد من حيث تشكله كظاهرة أدبية عند اليونانيين في المأساة "التي اهتمت كثيرا به، وهو الذي تقوم عليه الحكاية والذي يدور بين البطل باعتباره القوة الرئيسية، وبين الأعداء أو المعوقات الطبيعية أو الاجتماعية باعتبارها القوة المضادة، وقد كان بطل المأساة اليونانية يتحرك في إطار الصراع الغيبي، حيث يتصارع الإنسان مع الآلهة صراعا غير متكافئ، ينتهي دائما بسحق الفرد والقضاء عليه"[3]، لأنه يواجه قوى أكبر منه وأقوى.

ثم انتقل اليونانيون والفكر الأوربي عامة بعد هذه الفترة التي تؤمن بالأمور الغيبية والميتافيزيقية إلى مرحلة أكثر تطورا أو نضجا، "انتقلوا من وراء الطبيعة إلى الطبيعة،

---

[1] – سامية إدريس، صور الصراع في رواية ص لزرياب بوكفة –قراءة في المضمون–، مجلة الخطاب، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، مج13، ع1، ص135.

[2] – نجيب الكيلاني، حول المسرح الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1987، ص42.

[3] – أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني، رسالة ماجستير، إشراف عكاشة شايف، جامعة تلمسان، 1993، 1994، ص31.

ومن المجهول إلى المعلوم، ومما لا تدركه الحواس إلى المحسوس، واستبدلت بفكرة الله والغيب المجهول قوى أرضية كالطبيعة والمجتمع والطبقة التي امتد الصراع واستمر بينها وبين البشر"[1].

ونستطيع القول أنه من هنا أُخذ بالصراع كشرط أساسي من شروط تكوين الشخصية داخل العمل السردي.

وأخذ الصراع في العصر الحديث منحى آخر، إذ أصبح يوظف كمرادف لطبقات المجتمع، فظهر ما يسمى الصراع الطبقي، وغدا "المقولة الرئيسية في الحياة الاجتماعية، فهو صراع بين قوى اجتماعية قاهرة وأخرى مقهورة، وتحدث المواجهة نتيجة لفقدان التوازن في النظام الاجتماعي، حيث تكون هناك طبقة مالكة للسلطة والثروة، وأخرى فاقدة لهما"[2].

ومنه ظهرت عدة روايات تبرز هذه النقطة بالذات، نقطة التفاوت الطبقي والصراع الذي ينشأ بين الطبقات الحاكمة وطبقة الشعب، أو العمال.

لينتقل الصراع بعد هذا إلى وجه آخر ويتطور أكثر، أصبح من "أجل السلطة والثروة، لذلك نجد كل طرف يعمل بجد، بكل قواه ليقظي على الطرف الآخر دون رحمة أو تسامح، فيضيع الإنسان وسط هذه المواجهة العنيفة ويسحق دون اعتبار لإنسانيته وحقوقه"[3]، ما يخلف التصادم والاحتدام بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويزيد من كره الضعيف والفقير للقوي والغني.

[1] – محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط6، 1983، ص11.

[2] - أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني، ص 30.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن الناحية الفكرية نجد الصراع في الفكر البشري عند الوجوديين "هو صراع الفرد مع الجماعة التي تُعتبر جحيما يعوق الفرد عن تحقيق وجوده وحريته، ولذلك يكون الاصطدام بها حتميا"[1].

فالموجهة عندهم والدخول في صراع هو أساس الحياة، وعلى من يريد الحفاظ على حياته ويحفظ استمراريته أن يواجه كل من يقف في طريقه.

وينحصر الصراع فكريا في الصراع الطبقي بشكل بارز، ويليه ما جاء مع الوجوديين، وهي الفكرة الأساسية خصوصا لدى الغربيين، أي حتمية المواجهة مع الآخر من أجل تحقيق المصالح وحفظ الوجود، بمعنى أن الغرب "عرف صراعات متنوعة، فمن صراع الفرد مع الآلهة إلى الصراع الطبقي، إلى صراع الفرد مع الآخرين، إلى غيرها...، وذلك كله يعد تأكيدا على أهمية الصراع وضرورته في الحياة وفي الأعمال الأدبية"[2].

ومنطلقهم في كل هذا هو حفظ الحياة، و أن الصراع من ضروريات وبديهيات الحياة، فلا معنى لوجود الإنسان دون خير وشر، ودون الحياة والموت، ودون كل المتناقضات التي تتصارع فيما بينها.

[1] – مصطفى التواتي، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1986، ص70، 71.

[2] – أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني، ص30.

3. أشكال/ أنواع الصراع:

يمكن لنا أن نورد أنواع الصراع على النحو الآتي :

1.3/ الصراع النفسي:

يظهر كصراع يحدث داخل نفسية الشخصية الروائية، أو ما يعني تصارع الشخصية مع ذاتها "ويتعلق هذا الصراع بالحالة الذاتية، أو روح الشخص في تحدي المشكلة"[1].

وما يكشف الصراع النفسي داخل الخطاب الروائي هو الحوار الداخلي الذي "يعتبر عنصرا فنيا له الدور الفعال في رفع الحجاب عن عواطف الشخصية، وفي الكشف عن جوهرها، وما يجيش في أعماقها"[2]، الأمر الذي جعل الروائيون يركزون على هذا الجانب في عرض نفسيات الشخصيات وأهوائها وخلجات نفسها، ولعل تركيزه على هذا الصراع يرجع إلى أنه "يعلم أن نفس الإنسان تشكل المجال الأخصب للآداب والفنون، إضافة إلى إمكانية استفادة الأديب من منجزات علم النفس، ولكن مع الحذر من التطبيق الحرفي لهذه المنجزات، لأن في ذلك ابتعادا عن الأدب وانغماسا في نظريات لا تمت للفن بصلة"[3]، فيذهب الأدب في منحى غير المنحى الذي رُسم له، وبالتالي عدم الارتباط بالوظيفة التي قُيد لها، وهي التعبير عن هموم الشعوب وآمالهم وحياتهم.

هذا ما أكد عليه **يونج** حين رأى أن "الأعمال الأدبية التي تُشيّد بواسطة لَبِنات علم النفس لا قيمة لها بالنسبة للعالم النفساني، فالفرق شاسع وكبير بين الفن والعلم"[4]، لأن الأدب فن ولا بد فيه أن تظهر إبداعات الكاتب الأديب، ولا بأس لهذه الإبداعات أن تُأخذ من هذا العلم (علم النفس)، إذا كان فيها ما يخدم هذا الإبداع ويزيد من جماليته وفنيته.

---

[1] – عبد الباسط المراح، تمثيل الصراع في رواية أرض الحب لحبيب الرحمن الشيرازي من خلال نظرية لويس كوزر، مجلة اللغات والدراسات الثقافية، نيجيريا، 2017، ص317.

[2] – صابر حفيظة، أعمر صابر نسيمة، الصراع الحضاري في الرواية العربية الجزائرية، رواية المرفوضون لإبراهيم السعدي أنموذجا، إشراف بن جماعي أمينه، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة تلمسان، ص44.

[3] – نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار المعارف، دمشق، سوريا ط1، 199–، ص 137، 138.

[4] – شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، المطبعة الجامعية، الجزائر، ط1، 1985، ص150.

والصراع النفسي في الرواية يطبق بشكل كبير على الشخصية الروائية، وعلى أساسها تتم دراسته، ومنها تُستخرج أهم الصراعات، لأنها "تشكل المقياس الأساسي الذي يعتمده النقد للاعتراف به كروائي حقيقي"[1].

وبالتالي كان لزاما إظهار هذه الشخصية في عدة جوانب بغية دراستها وتحليلها لمعرفة قيمة الخطاب الروائي، ومن بين هذه الجوانب جانب الصراع النفسي الذي يتجلى من خلال الحوار الداخلي للشخصية حينا، وحوارها الخارجي حينا آخر مع الشخصيات، هذا الأخير من شأنه كذلك أن يكشف الاحتدامات بين مختلف الأطراف في الرواية، أو ما يسمى الصراع النفسي عبر الحوار الخارجي.

2.3/ الصراع الاجتماعي:

عادة ما يركز هذا النوع من الصراعات في الرواية على صراع الشخصيات مع بعضها البعض في إطار اجتماعي، الأمر الذي يكشف "ارتباط الأديب بواقعه، وما يتيح له التعبير عن كل ما يجري فيه، فهو يشاطر الآخرين آلامهم وآمالهم، ولا بد أن يتأثر بكل ما يجري حوله على مسرح الحياة من أحداث"[2].

ويعد هذا الصراع من بين أبرز الصراعات التي ظهرت في الرواية العربية نظرا لطبيعة المجتمع العربي الذي يسوده نظام القبائل، ويحكمه عرف العادات والتقاليد، وبهذا سعت الرواية إلى "كشف الظلم الذي تعانيه شريحة كبيرة من المجتمع العربي، لتبشر بشرارة ستنطلق يوما لتحرق هشيم الإقطاع والاستغلال"[3].

---

[1] – فاطمة الزهراء أزرويل، مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، منشورات الفنك، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، (دت)، ص137.

[2] - أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني، ص62.

[3] – محسن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1978، ص18.

ومن بين القضايا التي كشف عنها الصراع الاجتماعي في الرواية قضية الصراع من أجل الأراضي، والصراع من أجل الأعراف، وكشف التفاوتات الاجتماعية وانتشار الظلم والعبودية.

3.3/ الصراع الديني:

يظهر هذا الصراع ويتطور في الروايات العربية أو الغربية من خلال عدم تقبل ما جاء في الثقافة الغربية (أفكار، عادات، سلوكات، لباس، هندام..)، والتي عادة ما تكون متنافية مع الدين الإسلامي أو العكس عدم تقبل الغرب للثقافة الإسلامية، ومثالها أن تتقمص أحد الشخصيات الدور في الذوبان في عادات وسلوكات غير مدمجة في أعرافها وأعراف مجتمعها الأصلية (شرب الخمر، امرأة غير محتشمة اللباس، عدم الارتياد للمسجد، دخول إحدى الشخصيات الغير مسلمة للإسلام في الروايات الغربية ...).

ويتضح لنا هذا الصراع أنه عبارة عن "استعداد لدى بعض الشخصيات الروائية العربية للاستسلام والركوع أمام ما ترفضه المجتمعات الغربية من قيم وتقاليد مهما كانت غريبة عن التقاليد الإسلامية"[1]، الأمر الذي يخلق تلك الثورة على هذه القيم السائدة، ومن ثم اتباع طريق تختاره من أجل "تحقيق ذاتها للتخلص من التقاليد التي تكبلها، ولكن لا يمكن للإنسان أبدا أن يؤكد وجوده الحقيقي بالذوبان في الآخر، فهذه محاولة فاشلة وعقيمة لا تورث إلا الضياع"[2].

وليس بالضرورة أن يحدث الصراع الديني من خلال تصارع الديانات، بل قد تتجلى من خلال كسر شخصية ما من الشخصيات لكل معالم الدين الإسلامي، وعدم تبنيها نتيجة عدم تشبعها بالإيمان وكل المحفزات الدينية، ومثال ذلك (عدم الصلاة، عدم الصيام، الشتم بعبارات بذيئة تهين الدين الإسلامي والخالق والوالدين)، وكل هذه الأمور

[1] – سهيل إدريس، الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط7، 1977، ص28.

[2] – مجموعة من الكتاب العرب، الرواية العربية، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، 1984، ص152.

تخلق بلا شك صراعا للشخصية مع باقي الشخصيات التي عادة ما تمثل دور ولي الأمر أو المراقب الاجتماعي.

هذه هي أهم أشكال الصراع وأبرزها حضورا في الرواية العربية، أما عن الصراع السياسي والحضاري فإننا نجده متجليا في تلك الروايات التي تحكي عن حقبات زمنية معينة، وكيف أن السلطة تطغى على الطبقات الهشة، أو عن ظواهر حضارية جديدة عن المجتمع، ووقع ذلك وآثاره على الفرد والجماعة.

4. الصراع في الرواية:

إن الصراع في الرواية العربية يطرح العديد من الإشكالات التي ترجع في الأصل إلى كونها "جنسا أدبيا عربيا متأصلا في التراث أم أنه جنس غربي وافد على الثقافة العربية"[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتأتى الصراع في بنية النص الروائي بين عناصرها السردية، ويمكن لنا أن نعرفه بأنه "الاحتكاك بين الشخصية ونفسها، بين عواطفها الذاتية، أو عقيدتها، أو بينها وبين شخصيات أخرى، وكلما كان الصراع قويا، كان العمل أنجح وأعمق"[2].

فالصراع في الرواية إذن من بين شروط نجاح الشخصية وتُرجع أهميته فيها إلى أهميته داخل الحياة، لأنه من مميزاتها، والصراع بين الأفراد متجر فيهم منذ وجود البشرية، "ولكي يشتد الصراع ويحتدم يجب أن تكون بين هذه الشخصيات شخصية محورية من ذلك الطراز القوي العنيد الذي لا يقنع بأنصاف الحلول، فإما بلوغ كل ما يريد أو يتحطم"[3]، ومنه يتصاعد الصراع ويتطور ليشكل لنا الحدث الروائي.

وتسعى الرواية من خلال الصراع إلى إبراز الواقع ورصد أحداثه "وسبر أغوار النفس البشرية الأكثر عتمة (...)، وتنقل الرواية من خلال الشخصيات الروائية

[1] – إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1975، ص05.

[2] – عزيزة دريدي، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، (دط)، 1980، 28.

[3] – علي أحمد باكثير، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1984، ص56.

والأحداث وتيرة الصراع وحدته، بكثير من التطابق يجعل منه نقلا حرفيا عن واقع غليظ، ولكن كصراع تتجلى فيه الرؤية الإبداعية السردية ، ويبرز الصراع على أكثر مستوى، وبالتالي تختلف مداخل التعبير والإيحاء به، حيث تشترك اللغة والحوار والمكان وغيرها من مكونات النص الروائي"[1].

وكشفت الرواية الحديثة عن نوع ضمني من الصراع، هو الصراع الطبقي الذي يمثل "المقولة الرئيسية في الحياة الاجتماعية، فهو صراع بين قوى اجتماعية قاهرة وأخرى مقهورة، وتحدث المواجهة نتيجة لفقدان التوازن في النظام الاجتماعي، حيث تكون هناك طبقة مالكة للسلطة والثروة وأخرى فاقدة لهما"[2].

كما كشفت الرواية عن أشكال أخرى للصراع ظهرت مع تأزم الحالة والواقع الاجتماعي الحقيقي للإنسان، مثل صراع الإنسان مع القديم والجديد، وصراعه مع الخير والشر، وكل المتغيرات والمستجدات في حياته.

[1] – ناصر السيد نور، صراع الرواية والواقع، مجلة الرواية نات، 22 سبتمبر 2018، ص01.

[2] – أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني، ص 28.

الفصـــــل الأول

1.صراع الشخصيات في رواية وبدأ الظلام.

1.1/ مفهوم الشخصية.

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

2.1/ صراع البطل مع نفسه في الرواية:

3.1/ صراع البطل مع الشخصيات.

2. صراع الزمن في الرواية:

1.2/ مفهوم الزمن:

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

2.2 / الصراع بين الزمن الماضي والزمن الحاضر في الرواية.

3.2/ الصراع بين الزمن الحاضر وزمن المستقبل في الرواية.

3.3/ الصراع بين الزمن الماضي وزمن المستقبل في الرواية.

3. الصراع في المكان في الرواية:

1.3/ مفهوم المكان.

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

2.3/ الصراع في الأماكن المغلقة والمفتوحة.

1.2.3/ الصراع في الأماكن المغلقة.

-البيت

-القبو

-المطبخ

2.2.3/ الصراع في الأماكن المفتوحة .

-الشاطئ.

إن الصراع في البنية الروائية من بين أهم الركائز التي تعمل على سيرورة الأحداث فيها، وعبره تتحرك الشخصيات وتنمو تحت إطار زماني ومكاني.

وعليه سنحاول إبرازه من خلال عناصر السرد، وهي الشخصية، الزمن، والمكان.

1. صراع الشخصيات في رواية وبدأ الظلام لعمرو المنوفي:

إن الشخصية الروائية من بين أهم مكونات أقطاب السرد، تكاد تكون العنصر الفعال فيه لأن بقية العناصر تدور حولها. إنها تسهم في تنظيم السرد وتقدمه رفقة الزمان والمكان، وعليه قبل استجلاء مظاهر الصراع فيها لابد من الوقوف على مفهومها.

1.1/ مفهوم الشخصية: نعرض هنا مفهومين للشخصية، واحد لغوي وآخر اصطلاحي.

أ. **لغة:** الشخصية في لسان العرب من الجذر اللغوي (ش خ ص)، و"الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات، فاستعير له لفظ الشخص"[1].

فالشخصية إذن تعني الظهور والبروز، أي أنها سميت شخصية لأنها واضحة وشاخصة وبارزة.

وورد تعريفها أيضا في **المعجم الوسيط**، "الشخص سواء الإنسان وغيره، فرآه من بعيد، وجمعه أشخاص وشخوص، وأشخاص، والمتشاخص، المختلف، والمتفاوت"[2].

أي جاءت بمعنى الظهور والبروز والاختلاف.

فالشخصية، إذن، من الناحية اللغوية تعني البروز والظهور للعيان.

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص45، (مادة ش خ ص).

[2] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص495، (مادة ش خ ص).

ب. اصطلاحا: الشخصية من الناحية الاصطلاحية لم يتحدد مفهومها إلا في العصر الحديث مع الدراسات الأدبية الحديثة، "وقد جاءت مُترجمة عن اللغة الفرنسية في الأصل من الأصل اللاتيني (Persona)، وهذا الأصل يدل في البداية على القناع الذي يضعه الممثل على وجهه أثناء أداء الدور المسند إليه، ثم صار بعد ذلك يدل على الدور نفسه"[1].

وبعد هذا استخدمت الشخصية في عدة مجالات، منها المجال الاجتماعي وعلم النفس، والمسرح وغير ذلك.

وفي المجال الأدبي عَرفت الشخصية عدة مفاهيم، ويعود هذا لتنوع النظريات والدراسات التي تطرقت إليها، ومنها الدراسات السيميائية والدراسات البنيوية.

ونذكر هنا تعريف **فلاديمير بروب (V. Propp)** الذي "عني بالدور الذي تقوم به الشخصية، فركز على الأفعال التي تقوم بها الشخصية الحكائية، وقد قلل من أهمية نوع الشخصية وأوصافها وأخلاقها وطبائعها، كون هذه العناصر متغيرة في الشخصية. أما العناصر الثابتة فهي ما تقوم به الشخصية من دور، لهذا فقط ربط الشخصية بالدور وبطبيعة هذا الدور"[2].

فبروب إذن ينظر للشخصية من حيث أدوارها داخل الخطاب السردي.

في حين ذهب **كلود ليفي شتراوس** إلى اعتبارها بنية عقلية مفكرة، "تمثل شكلا منتجا في المجتمع (...)، هي تمثل بنية منطقية محددة في العقل البشري، فتظهر بوصفها من إنتاج العقل الجمعي، لكون ما يرتبط بالشخصية من علاقات وسلوك اجتماعي ولغوي هو من إنتاج قوانين موحدة للنظام العقلي"[3].

---

[1] – ناصر الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية، دار المادي الأدبي، الرياض، ط1، 2009، ص52.

[2] – المرجع نفسه، ص66.

[3] - المرجع نفسه، ص70.

فشتراوس ينظر كذلك للشخصية على أنها تجسد وظيفة في الرواية، لها أدوار تقوم بها ومن خلالها يتكون هذا العمل.

هذا عن المفاهيم البنيوية. أما المفاهيم السيميائية فإنها تعالج الشخصية الروائية بوصفها علامة، ونأخذ تعريف **غريماس (J. Greimas)**، الذي قال بأن "الشخصية تأتي بوصفها عاملا مجردا في النص، والعامل يمثل مجموعة من العلاقات (علاقة الرغبة، علاقة الاتصال، علاقة الإعاقة)..."[1].

فالشخصية تقوم عنده على مجموع العلاقات التي تربط بينها، ومنها يتحدد مفهومها.

وذهب **فيليب هامون (PH. Hamon)**، إلى أن الشخصية كمفهوم سيميولوجي "يمكن أن يتحدد كمورفيم ممفصل بشكل مضاعف، مورفيم غير ثابت ومنجز دال لا متواصل، يحيل إلى مدلول لا متواصل، وعلى هذا ستحدد الشخصية من خلال شبكة علائقية من التشبيهات والتراتبية والانتظام (توزيعها)، التي تربطها بمعنى مستوى الدال والمدلول تزامنيا وتعاقبيا مع الشخصيات الأخرى، أو عناصر العمل الأدبي الأخرى"[2].

فالشخصية إذن عند السيميائيين هي مفرغة، تحدد قيمتها من خلال علاقتها مع بعضها البعض، وعادة ما تربط بينها شبكة من العناصر هي من تنظمها وتحدد قيمتها ودورها.

[1] – ناصر الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية ، ص 69.

[2] – فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، (تر) سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، (دط)، 1990، ص26.

2.1/ صراع البطل مع نفسه في الرواية:

البطل في رواية **وبدأ الظلام لعمرو المنوفي** تمثل في شخصية حلمي، هذه الشخصية التي كانت تعاني من هواجس نفسية كثيرة نتيجة الأحلام المزعجة والكوابيس التي كان يراها يوميا حول ابنته **شهد**، وهاجس اختطافها من طرف أُناس مجهولين من عالم آخر.

يقول **حلمي** في نفسه في مستهل الرواية "عشرون عاما مضت، ومازلت لا أصدق ما حدث في ذلك اليوم، إن الذكريات تتداعى أمامي وكأنها حدثت في الأمس القريب(...)، لا أعرف ولكنني مللت الوحدة ومللت الصمت، ومللت الملل ذاته..."[1].

لقد كانت الذكريات تتداعى في خاطره، إنه يخاف من المستقبل لأن صديقه **مراد** غريب الأطوار، كان قد هدده بفقدان ابنته **شهد**، يقول "عشرون عاما مضت ومازالت الصرخة تدوي في أذني، ورغم عدم إيماني بما قاله **مراد** بخصوص ابنتي، إلا أنني كنت على يقين من أن هناك خطرا ما لا أدري كنهه"[2].

لقد كانت فكرة فقدان ابنته تدوي في أذنه، وتهديد مراد يشكل له أزمة نفسية حادة. لقد كان سبب صراع **حلمي** مع ذاته، وسبب رُأيته لحلم كان بمثابة الفاجعة في ذاته، وقد تأتت له ابنته وقد اختفت من المنزل، وتأتّى له **مراد** بمنظر الشيطان، يقول واصفا هذه الصورة، "لقد كانت عيناه تشتعل بضوء أحمر عنيف، لم أكن أعرف إن كان الضوء يخرج من داخل تجويف العينين، أم هو انعكاس لذلك الضوء الأحمر الذي أخذ يتماوج في قلب الظلام، مكونا ما يشبه السيلويت الخارجي لكائن ما يشبه الإنسان، مع اختلاف في شكل الرأس، والذي يحتوي على قرنين فيما يشبه الرسم القديم للشيطان في الكتب القديمة"[3].

---

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، دار عصر الكتب، ط1، 2009، ص07.

[2] – المصدر نفسه، ص15.

[3] – المصدر نفسه، ص17.

لقد رآه وهو يخطف ابنته ويأخذها لعوالم الشياطين المخفية، وفي كل مرة تراوده هذه الأحلام المفزعة، وكان دائما ما يستيقظ تحت ظلام شديد، يقول "ظلام شديد يكتنفني، ودوار شديد يحيط برأسي، وألم شديد في معصمي وعيناي زائغتان، والرؤية مشوشة، وإن بدأت الصورة تتضح رويدا رويدا، فها هو **مراد** يقف أمام ما يشبه المذبح الذي أشاهده في الأحلام السينمائية وأنا أقف على الحائط المقابل ويداي مقيدتان في سلاسل تتدلّى من السقف وتجبرني على أن أظل واقفا"[1].

لقد اختلط على **حلمي** ما كان يشاهده في الحلم وما يراه في الحقيقة، لقد أصبحت هذه الكوابيس حقيقة في عقله، لقد كان الصراع بينه وبين ذاته يتصاعد شيئا فشيئا، بين عقله الباطن وواقعه تحدث أزمة نفسية عنيفة سببها الخوف من فقدان ابنته، سواء بالموت أو بالخطف.

وعلى طول الرواية حكى لنا السارد عن الصراع القائم بين البطل ونفسه، عبر الأحلام التي كان يراها، ولا يدري أهي خيال أم واقع مرير.

يقول السارد في وصف شعوره في إحدى الأحلام "كان يشعر بأن خلاياه تئن حتى أن دموعه كانت تسيل على خديه دون أن يستطيع أن يوقفها، استوى جالسا ثم تحسس مكان الألم في ذراعيه، وهو يتوقع أن يجد ذراعه قد شوهت بفعل الاحتراق الذي أحدثه ذلك الكائن الشيطاني ..."[2].

ولكن وما إن استيقظ حتى تفطن أنه كان يعيش كابوسا نتيجة تفكيره في تهديد **مراد** له، يقول "إلا أنه وللعجب فوجئ بأن ذراعيه سليمتان، وعلى الفور ترجم عقله ما حدث له، فتأثير ذلك الكائن كان وهميا، كان تأثيرا عقليا بحتا، وما إن وصل ذلك التفكير حتى بدأ

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص23.

[2] – المصدر نفسه، ص 56.

يشعر بالألم يتلاشى وكأنه كان تحت قبضة تَحَكُّم الكائن الشيطاني، ثم استطاع الفكاك، تحامل على نفسه (...)، وكان يشعر بضعف شديد"[1].

لقد تركته تهديدات رفيقه في العمل **مراد** محطما نفسيا، حزينا وخائفا، تركته في صراع دائم مع ذاته إلى حد ترجمة هذه المخاوف والصراعات على شكل كوابيس مزعجة تطارده كلما وضع رأسه ليستريح من مشقة العمل.

3.1/ صراع البطل مع الشخصيات:

يأتي هذا الصراع في الرواية على عدة أوجه وأنماط، إذ نجد صراع البطل مع الشخصية المحورية الأولى وهي شخصية **مراد** وشخصيات أخرى هي من عوالم الظلام، وتعتبر في الرواية شخصيات شيطانية، لأن الرواية تحكي عن صراع الإنس والجن، وعن صراع الخير والشر، وعن عوالم الظلام والنور.

يظهر لنا صراع **حلمي** وهو البطل مع **مراد** وهو صديقه على طول الرواية، وفي كل فصولها تقريبا، وبدأ الصراع بينهما حين طلب **مراد** من **حلمي** أن يذهب معه إلى بيته، يقول السارد على لسان **حلمي** "**حلمي** هل تسمح لي أن أتناول معك القهوة في منزلك، لم أك بالطبع على استعداد لتلبية هذا الطلب، ففي مثل هذا الوقت الأفضل أن أكون بالمنزل بجوار ابنتي الوحيدة، أهون عليها وحدتها في هذا الطقس المتقلب السيئ"[2].

وقابل **حلمي** هذا الطلب بالرفض بحجة أن له زيارة أخرى، يقول "**مراد** إن هذا يشرفني بالطبع ولكنني سأقوم بزيارة لصديق بعد العمل مباشرة، وأخشى أن لا أستطيع إجابتك لهذا الطلب، فاعذرني وسوف أعوضك عنها في ظروف أفضل..."[3].

وما إن تلقى هذا الرفيق هذا الرد حتى لمعت عيناه بالشرارة والشر الدفين، لأنه لم يكن ينوي له الخير منذ البداية.

---

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص56، 57.

[2] – المصدر نفسه، ص11.

[3] – المصدر، نفسه، الصفحة نفسها.

ولكن عندما عاد **حلمي** إلى شقته تفاجأ بالفوضى التي تعم المكان، وتذكر تهديدات **مراد** له، يقول "قفزت في عقلي صورة **مراد** فاندفعت خارجا من الشقة واصطدمت بالأثاث المتناثر عدة مرات قبل أن أسقط على وجهي، ثم أقف مرة ثانية مستندا على باب الشقة وأندفع إلى الممر، وفي آخر الممر رأيته هناك، لم يكن كما رأيته من قبل، كان مختلفا، يا إلهي لقد كانت عيناه تشتعل بضوء أحمر عنيف"[1].

وهو الأمر الذي جعله يدرك أن **مراد** ليس إنسانا طبيعيا، وأن هناك خطرا حقيقيا يحدق بابنته الصغيرة، يقول "تجاهلت ألاعيب الضوء التي تحدث خلفي، واندفعت نحو **مراد** وقبضت على رقبته بكلتا يدي وأنا أسأله بغضب يكفي لإحراقه حيا، أين ابنتي أيها الوغد؟، أين هي؟، دفعني إلى الخلف فارتطمت بالحائط الجانبي بعنف شديد، شعرت بآلام في كل عظام جسمي"[2].

إن صراع **حلمي** في الرواية هو صراع خارجي لأنه ظاهر، ومكمنه خوف الأب على ابنته، وأراد الروائي من هذا أن يبرز لنا صراع الخير والشر، صراع القوي والضعيف، لأن البطل في الرواية لم يكن يدري من هو خصمه إلا بعد المواجهة، فظهرت أنها مواجهة بين نقيضين لا يتفقان.

يظهر لنا صراع آخر في الرواية هو صراع **وفاء** زوجة حلمي مع عالم الأشباح، أو كما تظن هي أن هناك إنسانا خفيا يطاردها، يقول "قاطعته شهقة من **وفاء** وهي تشير باتجاه الظلام، بجانب إحدى الكبائن وقد اختنق الكلام في حلقها، فنظر لها حلمي بقلق وقال لها، ماذا هناك؟، لا أرى شيئا، تغلبت وفاء على خوفها وقالت بصوت مرتجف مضطرب، الشبح، الشبح ذو العيون المشتعلة، رد قائلا: يبدو أنك أفرطت في السهر فحسب، أنا لا أرى شيئا في المكان الذي أشرت إليه"[3].

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص16، 17.

[2] – المصدر نفسه، ص 37.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لقد بدا لهما في بادئ الأمر أنها يتهيآن وجه الشبح، لكن في الحقيقة كانت هنا قوى ما غريبة تتابعهما وتتقفى آثارهما، لكن المفاجأة في الرواية أن نهاية **وفاء** كانت غامضة، إذ بعد أن "دخلت إلى مطبخها لتبدأ في إنهاء أعمالها المنزلية، فجأة اشتعلت أعين الموقد عينا خلف الأخرى، و**وفاء** لا تراها وهي منهمكة في تنظيف الأواني، لم ترى النيران وهي تتراقص وتمتد من الموقد وكأنها تنين ثائر أخذ ينفث نيرانه من حولها، وفوجئت وفاء بالنيران تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، انقضت عليها النيران لتحيلها إلى جثة متفحمة، ومن هول ما يحدث أو لسبب لا نعلمه احترقت **وفاء** دون أن تطلق صرخة واحدة"[1].

فصراع **وفاء** مع القوى الغيبية في الوهلة الأولى يظهر لنا أنه صراع نفسي إذا اعتقدنا أنها أحلام وكوابيس تراها في نومها، لكنه في الواقع مشاهد حقيقية، والدليل أنها احترقت بدون سبب معلوم، وهو الأمر المجهول لدى الجميع، والذي دفعنا لتصنيف هذا الصراع من نوع الصراع مع شخصيات الغير مرئية.

يظهر لنا في الرواية أيضا صراع شخصيتين هما شخصية **حلمي وسيروم**، هذا الأخير هو شخصية غير بشرية يعرفه الكاتب بقوله "إنه الأفضل، إنه الخادم الأعظم، ليس له مثيل في الشر ولا في الأداء، السيد يعتبره الحل الأخير لكل مشكلة تتعقد وتهدد مخططات السيد، إنه نهاية لكل بداية، إنه **سيروم** أخلص جنود السيد، ذلك الكيان الأسود الشرير، لقد منحه السيد القوة ومنحه الكيان"[2].

و قد كلفه سيده بمهمة القضاء على حلمي، ولا مجال له للخطأ في هذه المهمة، يقول السارد عنه "تلقى الرسالة وتوهجت عيناه ببريق مخيف، وتألقت بداخله كل نوازع الشر،

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص40،41.

[2] – المصدر نفسه، ص45.

كما يتراقص جنود الموت في باحة اللهب، إنه يعرف الآن أن المعركة الفاصلة قاب قوسين أو أدنى من الاشتعال..."[1].

وبالفعل تحقق مضمون هذه الرسالة، فقد تهيأ **سيروم** في هيئة إنسان، وأخذ كل استعداداته وأسلحته، وقتله كما قتل زوجته **وفاء** حرقا، وما كان من حلمي إلا أن تألم وفارق الحياة، تاركا ابنته في أيدي شخصيات من عوالم غيبية.

هذه هي أهم الصراعات البارزة بين الشخصيات في الرواية. أما عن باقي الشخصيات فإنها كانت خاضعة، ولم يحضر فيها الصراع مطلقا.

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص72.

2. صراع الزمن في الرواية:

قبل الحديث عن تجليات الصراع الزمني في رواية وبدأ الظلام لابد من الوقوف عند مفهوم الزمن.

1.2/ مفهوم الزمن:

نعرض للزمن مفهومين واحد لغوي، والآخر اصطلاحي.

أ. **لغة:** في المعجم الوسيط ورد الزمن على أنه من الجذر اللغوي (ز م ن)، و"الزمن زمنا، أزمنة، والزمان الوقت قليله وكثيره، ويقال السنة أربعة أزمنة، أي أقسام وفصول، جمعه أزمنة"[1].

فالزمن من الناحية اللغوية يفيد معنى الوقت قليله وكثيره.

ب. **اصطلاحا:** إن الزمن من أحد أهم مكونات السرد، يرتبط كثيرا بعنصري المكان والشخصية، وقد لاحظنا تعددا في طرح المفاهيم المتعلقة به، ولعل "أهم عائق يعترض الباحث هو أن الزمن مفهوم مجرد، يفعل في الطبيعة ويظل مستقلا عنها، يؤثر في تجارب الإنسان الذاتية وخبراته الموضوعية دون أدنى اكتراث بها، هو مع ذلك سيلان لا نهائي هارب يستحيل القبض عليه، وتمثله تمثلا محسوما"[2].

فالزمن له امتداد واقعي من حيث أنه مؤثر في الطبيعة والإنسان في آن واحد، كما لا يمكن التحكم فيه لأنه آني غير ملموس، الأمر الذي جعل "من المستحيل وغير المجدي تحديد مفهوم الزمن"[3].

---

[1] – إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إسطنبول، تركيا، ج1، ص401، مادة (ز م ن).

[2]– عبد الوهاب الرقيق، في السرد، دراسات تطبيقة، دار محمد علي ، صفاقس، تونس، ط1، 1998، ص27.

[3] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998، ص47.

وهذا لا ينفي أهميته، أو أن هناك عدة محاولات في طرح مفاهيم له، إذ نجده يمثل العمود الفقري في الرواية.

وأعلن **رولان بارث** **(R. Parthes)** أن "أزمنة الأفعال في شكلها الوجودي والتجريبي لا تؤدي معنى الزمن المعبر عنه في النص، وإنما غايته تكثيف الواقع وتجميعه بواسطة الربط المنطقي"[1].

فالزمن حسبه يعمل على تكثيف الواقع والتعبير عنه وفق سلسلة من الأحداث المترابطة منطقيا.

ويقول **حسين بحراوي** أنه "بالنسبة للسرد بأن الزمن ليس محدودا أو له وجود وظيفي كعنصر في نظام دلالي"[2].

وشهد الزمن في الدراسات النقدية الحديثة المعاصرة إقبالا كبيرا من طرف الدارسين والباحثين، بسبب تعدد استعمالاته من مبدع لآخر، كل حسب رؤيته وموضوعه وتقنياته.

وعلى العموم يمكن القول عن الزمن الروائي "باعتباره عملا أدبيا أداته الوحيدة هي اللغة، يبدأ بكلمة وينتهي بكلمة، وبين كلمة البداية وكلمة النهاية يدور الزمن الروائي. أما قبل كلمة البداية وبعد كلمة النهاية ليس للزمن الروائي وجود"[3]، لأن لا استقامة للرواية دون زمن، هو من ينظم أحداثها ويحرك شخصياتها ويعمل على الاستقرار الفني فيها.

والزمن في الرواية يُبنى وفق عدة أنماط، ومنه تتكشف بنية النص ودلالته، كون "عجلة الزمن متغيرة وغير ثابتة في علاقتها بالموضوع الروائي"[4].

---

[1] – نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006، ص152.

[2] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنا، ط7، 1990، ص111.

[3] – الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب كيلاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص 78.

[4] – مها حسين القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص37.

هذا ما يوفر مواضيع قابلة للدراسة والنقد من طرف الباحثين والنقاد، وما جعل للزمن قيمة تمكنه من الاستقلال بذاته في بحوث منفردة.

1.2/ الصراع بين الزمن الماضي والزمن الحاضر في الرواية:

ظهر الصراع في رواية **وبدأ الظلام لعمرو المنوفي** بشكل بارز بين الماضي والحاضر، لأن **حلمي** بطل الرواية كانت تهاجمه ذكريات الماضي بشكل كبير، فقد شكلت له فاجعة ومخاوف بسبب ما تحويه من مآسي، يقول: "كان ذلك منذ عشرين عاما، في أحد الأيام الباردة حيث الغيوم تجثم على صدرك والبرد ينخر عظامك، تبدأ قصتي المشؤومة بتلك الابتسامة اللعينة من ذلك الشخص الكريه **مراد**، وهو لمن لا يعرفه جاري الذي يقطن معي في البناية ذاتها"[1].

مراد الذي يعمل كمحاسب ضرائب لم يكن ليرتاح له **حلمي** مطلقا، أحسّ بأنه غريب الأطوار، ولم يكن ليشعر أي أحد بالسكينة وهو معه، هذه الشخصية التي كانت تطارد البطل في واقعه، ماضيه وحاضره، لقد شكل له تلك الذكرى الأليمة الكامنة في العقل الباطن.

ويظهر **حلمي** في العديد من المقاطع السردية جالسا في منزله يتصارع مع ذكريات الماضي، ومن هذه المقاطع تلك التي قال فيها "كان الظلام قد هبط والأمطار تزداد تباعا، فقد أصبحت كالصنوبر، كالشلال، قمت بتشغيل مسّاحات السيارة الأمامية(...)، كل هذا وذهني مشتت وكلمات مراد تتردد في ذهني بلا توقف، وصلت إلى المنزل فركنت السيارة(...)، هناك على بعد عدة أمتار مني كان يقف **مراد** وعيناه تبرقان ببريق الجنون ودموع ملتهبة كانت تسيل على وجنتيه"[2].

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص08.

[2] – المصدر نفسه، ص 14.

هكذا قفز بنا إلى ذلك الزمن المرير، زمن بداية مأساته مع جاره الخبيث، زمن المعاناة النفسية والجسدية، ومنه تبدى لنا الصراع بين الزمن الماضي والزمن الحاضر، الماضي مثلته الذكريات، والحاضر جسده زمن السرد والحكي.

نجده يسترجع أيضا "عشرون عاما مضت وما زالت الصرخة تدوي في أذني، ورغم عدم إيماني بما قاله مراد بخصوص ابنتي، إلا أنني كنت على يقين من أن هناك خطرا ما لا أدري كنهه"[1].

هكذا كانت الذكريات تهاجم **حلمي**، ولا تترك له راحة بال، ولا أن يعيش حاضره في هناء مع عائلته البسيطة.

يحضر كذلك الصراع بين الزمنين الماضي والحاضر في لوم الجار لجاره على عدم قبول عرضه في الضيافة، يقول "...لماذا لم تقبل أن تدعوني إلى منزلك؟، لماذا سطرت بيدك نهايتي ونهايتك"[2].

وقد كان تاريخ هذه الدعوة يمتد لعشرين سنة من زمن السرد، وهي سبب هلاك الاثنين معا، لأن مراد ما هو إلا إنسان مأمور عليه تنفيذ أوامر سيده من العالم الآخر.

يرجع بنا **حلمي** كذلك في الرواية إلى الزمن الماضي الذي يمتد به إلى ثلاثين سنة من قبل، ويفسر لنا أحداث الرواية، يقول"...عادت بي الذاكرة إلى ثلاثين عاما للخلف، كان في سن العاشرة، وذات ليلة خريفية مقبضة أخذه والده إلى قبو المنزل المظلم، وكان والده في حالة صحية سيئة، إلا أنه أصرّ على أن يصحبه معه إلى ذلك المكان البارد الموحش، كان المكان كئيبا مقبضا، يبعث الرجفة في الأوصال ويزرع الخوف في القلوب(...)، أخبره قائلا بكلمات تشبه التعاويذ مازالت محفورة في عقله ووجدانه، إننا مختلفون، لسنا كالآخرين، كتب علينا أن نقاتل ليظل النور يعم الكون"[3].

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام ، ص15

[2] – المصدر نفسه، ص25.

[3] – المصدر نفسه، ، ص59.

هنا يكشف لنا **عمرو المنوفي**، على لسان والد **حلمي**، سبب الصراع بين الشخصيات، وسبب الارتدادات العنيفة في ذهن البطل وعودته للزمن الماضي عبر الذاكرة، وكثرة الاسترجاعات الحزينة، فعائلة **حلمي** هي التي اختارها القدر أن تصارع عالم الظلام والشرور الكامنة في نفوس الشخصيات من العالم الآخر، وهي تمثل عوالم الشياطين والشر.

2.2/ الصراع بين الزمن الحاضر والزمن المستقبل:

لم يكن هذا الصراع حاضرا بقوة في الرواية، إذ لم نجد منه إلا الشئ القليل.

وجدنا هذا الصراع يتجلى في نبوءة الغجرية التي التقت **بوفاء** زوجة **حلمي** في يوم من الأيام، وأخبرتها عن مستقبلها. يقول السارد "فهاهي تلك الغجرية غريبة الملامح تنتفض لمرأى يد وفاء، وهي تردد في رعب شديد، كان الله في عونك يا ابنتي، لقد انفتحت بوابة الجحيم، وأول من سيحترق بنيرانها سيكون أنت، ثم اندفعت في خطوات أقرب إلى العَدو مبتعدة، مخلفة وراءها وفاء التي صدمتها العبارة، حتى أنها وقفت مذهولة لا تعرف ماذا تفعل أو تقول"[1].

وبالفعل صدقت هذه النبوءة على الرغم من تكذيب **حلمي** لها بقوله: "كذب المنجمون ولو صدقوا"[2]. لكنه في قرارة نفسه كان خائفا، وفي صراع نفسي حول مصير زوجته، وتساءل في نفسه "هل ستصدق الغجرية هذه المرة؟، هل ستصدق في هذه المرة؟"[3].

نعم تحققت النبوءة، فحين عادت وفاء إلى البيت من المدرسة بعد أن أوصلت الصغيرة إلى المدرسة في الصباح، وراحت تقوم بأعمال المنزل، "فجأة اشتعلت أعين الموقد عينا خلف الأخرى و**وفاء** لا تراها وهي منهمكة في تنظيف الأواني، لم تر النيران وهي تتراقص وتمتد من الموقد وكأنها تنين ثائر، أخذ ينفث نيرانه من حولها، وفوجئت وفاء

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ، ص39.

[2] – المصدر نفسه، ، ص40. وإن كانت هذه العبارة شائعة.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بالنيران تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، فتسمرت في مكانها مذهولة، وانقضت عليها النيران لتحيلها إلى جثة متفحمة"[1].

وبعد أن عاد زوجها إلى المنزل أيقن أن هناك قوى خفية تتحكم في مستقبلهم، حدث هذا بعد أن كان "هناك من دفعه ليعود في هذه اللحظة ليرى هذا الهول، انهار وتفتت قلبه من الصدمة وتساقطت الدموع من عينيه، انهار فوق جثة زوجته المتفحمة، ومن وسط دموعه رآه هناك وهو يتوارى ويختفي في العدم، الشبح مشتعل العينين"[2].

من هذا الحدث نجد الصراع بين الزمنين الحاضر والمستقبل، الحاضر يكمن في رغبة وفاء وحلمي أن يعيشا في هناء وراحة بال كباقي العائلات رفقة **(شهْد)** ابنتهم، لكن الخوف من المستقبل كان يمنعهم، الأمر الذي جعل الصراع يتصاعد في داخلهم، والدليل خوف **وفاء** و**حلمي**، والنهاية التي تعرضت لها بعد نبوءة الغجرية.

وذكر لنا الراوي أن عائلة حلمي هي من عائلة البشر النورانيين الذين كان من واجبهم أن يصارعوا كائنات من العالم المظلم، يقول عن حلمي "هاهو يرى أباه وأمه يمحوان ذاكرة زوجته الأرضية حتى لا تعرف السر وتتعجب من قصر فترة الحمل، يرى الشبح المشتعل العينين يُفني والده، يرى زوجته وهي تحترق، يختلط أمام عينيه تاريخه وتاريخ الكون، إنه يعلم كل تاريخه وتاريخ جنسه البشري والنوراني، لكنه لا يعلم شيئا واحدا، إلى أين ينتهي به هذا الممر، إلى المستقبل المضيء، أم المستقبل المظلم، لا يدري ولكنه لا يخاف، وليس عليه الانتظار وسينتظر، سينتظر"[3].

فالراوي هنا يفسر لنا سبب المعيشة الضنك التي يعيشها حلمي في زمنه الحاضر، يفسر لنا المخاوف ومرجع هذا الخوف وكل ما يدور في خاطره، وما لا يعلمه عن نفسه وعائلته، وما عليه إلا أن يتطلع للمستقبل بالانتظار فقط، كي يعرف مصيره ومصير ابنته

[1] - عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص40، 41.

[2] – المصدر نفسه، ص41.

[3] – المصدر نفسه ، ص71.

بعد أن قُتلت زوجته حرقا من طرف ذلك الشخص مشتعل العينين، الذي لا تنبض روحه إلا بالشر والضغينة للبشر.

3.1/ الصراع بين الزمن الماضي والزمن المستقبل:

يتجسد هذا الصراع في خوف شخصية البطل من المستقبل عبر تلك الذكريات التي كانت تهاجمه في يقظته وأحلامه، هو يخاف من المستقبل انطلاقا مما عاشه في الماضي، والتهديدات التي تلاقها من طرف **مراد** وخليفته **سيروم**.

يسترجع حلمي ذكريات من ماضيه حين أخبره والده بما سيحدث له في المستقبل، يقول السارد على لسان الأب "يوما ما ستحدث أحداث جلل، وستجد نفسك في قلب الأحداث كالغريق الذي لا يعلم شيئا عن وجود الشاطئ، فلا تخف ولا تهلع فأنت ستكون الدرع الذي يحمي كل من تحب، ستكون أنت السبيل إلى النور بعد انبلاج ليل الظلام السرمدي، لا تخش شيئا، فكا شيء موجود هناك في أعماقك، وحينما تتعقد الأمور اهبط إلى هناك لتجمع كل خيوط الحقيقة، واصل والده كلماته وقال بصوت عميق تذكر دائما أننا مختلفون، مختلفون، مختلفون، وظلت الكلمة الأخيرة تتردد في عقله بشكل مستمر رغم أنه لم يأبه بكلمات والده يومها..."[1].

في هذه الأسطر يكمن شقاء حلمي، وقد فسره له والده سبب هذا الشقاء في كونهم مختلفين، وأن القدر اختار لهم مواجهة الشر، وكل من هو معادٍ للخير.

ويسترجع أيضا كيف ظلّ كلام والده منذ ثلاثين سنة مضت يتردد في داخله، يقول"وظلت الكلمة الأخيرة تتردد في عقله بشكل مستمر، رغم أنه لم يأبه لكلمات والده يومها، إلا أنه وجد فيها الأمان والملاذ والأصل، وردد بصوت الغريق الذي وجد القشة التي ستنقذه، سأعود إلى منزل والدي، سأبحث عن الحقيقة، يجب أن أصل إليها وإلى شهد، وانطلق مغادرا الشقة فالبناية متجها إلى منزل والده في منطقة المقطم، وهو يتساءل

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص60.

بداخله أمن الممكن أن يحدث أسوأ مما حدث؟، آه لو كان يعرف أن كل ما حدث له كان كالنسيم في مواجهة العاصفة التي ستجتاح عالمه، عاصفة الخوف والرعب"[1].

من هنا يبرز الصراع والتصادم بين الزمن الماضي والزمن المستقبل، تصادم الذكريات مع الآمال والمخاوف معا، ويظهر تصادم الرغبات الخيرة مع الرغبات الشريرة، رغبة العيش في هناء مع رغبة التخلص من كل الآلام والتطلع إلى غد جميل دون عقبات.

نجد الصراع بين الزمن الماضي وزمن المستقبل متجليا في الحلم الذي راود **حلمي** وهو نائم عن ابنته التي تهيأت له في صورة أميرة أخذها أُناس مجهولين إلى العالم الغيبي، يقول: "لقد أنقذها فرسان الضوء الملكي وحملوها من بيتها إلى عالمنا، عالم النور في مغامرة جريئة وعنيفة (...)، الآن أصبحت الأميرة بأمان مؤقتا، ولكن جاءتني أنباء أن قوى الظلام قد بدأت تحشد قواها للمعركة (...)، لا أخفي أن هذه المعركة ستكون مروعة لأقصى حد، لذا نريد منكم الاستعانة بكل قوة تستطيعون إيجادها واستمالتها لصفنا، سنفتح لكم أبعاد الزمان والمكان، سنمنحكم الطاقة والقوة، ولن يكون للوقت قيمة، ولن تكون للحياة قيمة، سيفني الظلام إلى الأبد أو النور إلى الأبد"[2].

ومن كان يخاطب حلمي في هذا الحلم هو الملقب بسيد النور في الرواية، وهو من كان يدعو للخير دائما فيها، وخاطبه بوصفه والد شهد محور الصراع، وجندي من الجنود الذين سيحاربون الشر، والبطل في هذا المقطع يسرد لنا هذه الحادثة لأنها من الماضي وما جاء فيها محاربة من أجل المستقبل.

إن الصراع بين الزمنين الماضي والمستقبل في الرواية كان يمثله الاسترجاع المتكرر على لسان البطل، إما بأحداث من واقعه، أو بأحداث شاهدها في الحلم، وجميعها تمثل حالة تأهب واستعداد لما هو آت في المستقبل، ومن أجل أن يسود الخير ويفنى الشر في هذه الحياة.

---

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام ، ص61.

[2] – المصدر نفسه، ص63.

3. صراع المكان في الرواية:

قبل الدخول إلى الحديث عن صراع الأمكنة في رواية وبدأ الظلام، لابد أن نقف عند مفهوم المكان بداية باعتباره قطبا من أقطاب السرد الروائي.

1.3/ مفهوم المكان:

للمكان مفهومين واحد لغوي وآخر اصطلاحي، سيساعد طرحهما إزالة اللبس حوله.

أ. **لغة:** عرض القاموس المحيط المفهوم اللغوي للمكان على أنه مشتق من الجدر اللغوي (م ك ن)، وفيه قال مؤلفه "ككتف بيض الضبة والجرادة ونحوهما، مكنت كسمع بكسر الكاف وضمها، والمكانة والتؤدة كالمكينة والمنزلة عند ملك، ومَكُن ككرم، ويمكن فهو مكين، أمكنة وأماكن والمكنان بالفتح بنت، ومَكّنته من الشيء فأمكنته منه فتمكن واستمكن"[1].

فالمكان هنا جاء بمعنى المنزلة.

ورأى بعض العلماء أن المكان هو السطح[2].

من هنا يظهر لنا أن المكان من الجهة اللغوية يفيد معنى المكانة والمنزلة والسطح، وهو كذلك كل ما تطأ عليه الكائنات الحية، وفيه تعيش.

ب.**اصطلاحا:** من الناحية الاصطلاحية تعددت المفاهيم وتنوعت بتنوع النظريات التي تطرقت إليه، وعند حديثنا عن المكان فإننا نجد "السؤال عنه مرتبط في الواقع بالسؤال عن

[1] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص267، مادة (م ك ن).

[2] – ينظر، محمد علي التاهوتي، كشف اصطلاحات الفنون، تصحيح المولودي محمد وجيه وآخرون، طبعة موسيتي بنكال، (دط)، (دت)، مج1، 1862، ص 1634.

الوجود الإنساني الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بآخر، ثم المهد، ثم البيت، ثم الشارع، ثم المدرسة، ثم المدينة، أو القرية، ثم أمكنة أخرى يكون آخرها القبر"[1].

فالمكان إذن له صلة وطيدة بالإنسان، تتجذر فيه منذ ولادته إلى يوم موته حين يوضع في القبر.

وللمكان قيمة كبيرة في الدراسات السردية، هذا ما تفطن له **غاستون باشلار** (**Gaston. Bachlar**)، حين درس "القيم الجمالية للأماكن التي نعيش فيها"[2].

وعرّف **لوري لوتمان** (**L. Loutmane**)، المكان بقوله بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية، مثل الاتصال والانفصال"[3]، وهذه العلاقات بين الأشياء هي من تحدد قيمة المكان الروائي.

وذهب **عمر عاشور** إلى أن المكان هو "الفضاء التخييلي الذي يصنع الروائي من كلمات، ويصنعه كإطار تجري فيه الأحداث"[4]، فالفضاء عنده والمكان هما شيء واحد، وكلاهما إطار للأحداث الروائية.

واعتبر **بان البنا** "المكان الروائي مكانا متخيلا، مشكلا من ألفاظ لا من موجودات أو صور، فهو إذا غير حقيقي ينشأ عن طريق الكلمات"[5].

فالمكان الروائي إذن هو مكان متخيل من صنع الروائي، تكونه مجموعة من الكلمات وتحدده العديد من الوظائف.

---

[1] – فتيحة كحلوش، بلاغة المكان – قراءة مكانية في النص الشعري– مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص17.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص115،116 .

[4] – عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2010، ص29.

[5] – بان البنا، الفواعل السردية في الرواية الإسلامية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص26.

وأشار **باشلار** إلى أن المكان الروائي هو مكان يجسد خلاصة التجربة الإنسانية، وذلك حين قال أن "المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية في مجال الصور"[1].

من هنا يظهر لنا أن المكان في الرواية بأبعاده الهندسية هو خلاصة التجربة الإنسانية، ويحتل مكانة هامة في الذاكرة الفردية، ومنه ظهر في الأعمال السردية ولخص كل تلك التجارب.

2.3/ الصراع في الأماكن المغلقة والمفتوحة:

ظهر الصراع في الأمكنة الروائية بشكل طفيف، ليس كظهوره في الشخصية والزمن، غير أنه يمكننا أن نصنف هذا الصراع كالآتي:

1.2.3/ الصراع داخل الأمكنة المغلقة: تمثل الأمكنة المغلقة أماكن الإقامة والأماكن الخصوصية، وهي أماكن يلجأ إليها الإنسان للعيش أو السكن لمدة إما قصيرة أو وجيزة بإرادته أو تحت ضغوطات عليه.

ومن الأمكنة التي احتوت صراع الشخصيات في الرواية نذكر:

- **المنزل (الشقة):** وهو مكان إقامة **حلمي** مع عائلته الصغيرة (زوجته وابنته الوحيدة شهد)، والذي من المفترض أن يشكل ملجأ لهذه العائلة، والمكان الذي تشعر فيه بالاطمئنان بدل الخوف، لكن في الرواية كان عكس ذلك، لقد كان مكمن خوف **حلمي** وهواجسه التي تطارده في الأحلام وفي اليقظة. يقول في هذا السياق عندما خاطبه مراد: "**حلمي** هل تسمح لي أن أتناول معك القهوة في منزلك، لم أكن بالطبع على استعداد

[1] – غاستون باشلار، جماليات المكان، (تر) غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص31.

لتلبية هذا الطلب، ففي مثل هذا الوقت الأفضل أن أكون بالمنزل بجوار ابنتي الوحيدة، أهون عليها وحدتها في هذا الطقس المتقلب السيئ (...)، عربد شيطان الشك بداخلي وتساءلت في نفسي وأنا ألملم أغراضي لأنصرف، ماذا يريد هذا المجنون؟"[1].

ثم واصل السرد لكن على لسان **مراد** "...**حلمي** لو لم أذهب إلى منزلك الآن بكامل إرادتك فإن ابنتك ستكون في خطر داهم، خطر خارج عن عالمنا "[2].

في هذين المقطعين نلاحظ أن المكان (المنزل)، قد فقد صفة الخصوصية، وهذا لرغبة **مراد** اكتساحه ودخوله عنوة عن صاحبه لتنفيذ غرض شيطاني، وذلك عبر التهديد والملاحقة.

يواصل **حلمي** السرد فيقول "وأخيرا وصلت للمنزل، فركنت السيارة في المكان المخصص لها أسفل العمارة، ودلفت إلى المصعد وضغطت على زر الطابق الثامن، وانتظرت حتى توقفت وانفتحت أبوابه على مصراعيها، وما إن خرجت من المصعد حتى تراجعتُ إلى الخلف وكدت أسقط على ظهري داخل المصعد لولا تمسكي بحوافه الجانبية، فهناك وعلى بعد عدة أمتار مني كان يقف **مراد** وعيناه تبرقان ببريق الجنون، ودموع ملتهبة كانت تسيل على وجنتيه"[3].

لقد لاحقه ذلك المجنون على طول طريقه إلى البيت، يريد أن يدخل بالقوة وفوق إرادة حلمي، وبالفعل حدث ما أراد، اقتحم المنزل وتسبب في فوضى وغيبوبة لا نهاية لها **لشهد**، والسبب وراء هذا كان مجهولا بالنسبة **لحلمي**.

ولم يكن ليرتاح برفقة زوجته في هذا البيت، لأنه يحس أنه مصدر خطر ما يحدق به، نجده يقول "كان الألم مروعا، ويشعر أن هناك من زج جمرات مشتعلة في ذراعيه (...)، استوى جالسا ثم تحسس مكان الألم في ذراعيه(...)، تحامل على نفسه ثم استند على

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص11.

[2] – المصدر نفسه، ص12.

[3] – المصدر نفسه، ص14.

ذراع المقعد الموجود بجانبه، ليعتدل واقفا في منتصف الصالة، وإن كان يشعر بضعف شديد أخذ ينظر حوله وهو يأمل أن يكون ما حدث مجرد كابوس، إلا أن كل الدمار والأثاث المحطم والفوضى المتناثرة حوله في كل أنحاء الشقة كان ينبئه بالعكس"[1].

لقد كان يعيش أحلاما مرعبة على الرغم من استلقائه في مكان ما في منزله، لدرجة أنه لم يعد يفرق بين الواقع والحلم، لقد اشتد الصراع وتصاعد إلى حد انعكاسه في شقته.

❖ **القبو:** وهو ذلك المكان تحت الأرض في منزل والد **حلمي** القديم، والذي ترعرع فيه وكبر قبل ثلاثين سنة من قبل، استحضره السارد على لسان البطل لأول مرة في قوله "عادت به الذاكرة إلى ثلاثين عاما للخلف، كان في سن العاشرة، وذات ليلة خريفية مقبضة أخذه والده إلى قبو المنزل المظلم، وكان والده في حالة صحية سيئة، إلا أنه أصر على أن يصحبه معه إلى ذلك المكان البارد الموحش، كان المكان كئيبا مقبضا يبعث الرجفة في الأوصال ويزرع الخوف في القلوب، لم يكن القبو يحتوي على أي شيء كأي قبو آخر يحترم نفسه، إلا أن والده أشار إلى ركن مظلم في أحد جوانب القبو وأخبره أننا مختلفون، لسنا كالآخرين"[2].

هذا ما سمعه **حلمي** ولم يدركه حينها، بقيت هذه الذكرى محفورة في ذاكرته، شكلت له الصراع بين ماضيه وحاضره، والخوف من المستقبل المجهول، فكان غموض هذا المكان وغموض تمتمات والده التي لم يفهمها إلا والخطر يحدق بعائلته وبعد فوات الأوان، بعد أن دخلت طفلته الصغيرة في غيبوبة لا نهائية بسبب الأعمال الشيطانية.

يقول كذلك عنه "مع شعور قديم بالرهبة دَلَف **حلمي** إلى داخل القبو، واتجه إلى الركن الذي يدركه جيدا منذ أن زاره مع والده، لم يكن يدري ماذا يفعل، أو ماذا سيجد، إلا أنه لم يتردد ومدّ يده متحسسا جدرانه في ذلك الركن المظلم، وكما توقع لم يجد شيئا، إلاّ أنه لم يفتر أو يتراجع وأخذ يبحث ويبحث حتى اصطدمت إحدى أصابعه بجزء بارز أدمى

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص56، 57.

[2] – المصدر نفسه، ص58، 59.

أصابعه، وتساقطت من إصبعه قطرات دم لامعة سرعان ما امتصتها أرضية القبو في سرعة عجيبة"[1].

ظهر لنا **حلمي** في هذا المقطع وهو يزور هذا المكان مرة أخرى بعد مرور ثلاثين سنة على آخر مرة زاره فيه مع والده، وقد رجع إليه في هذه المرة باحثا عن شيء ما ينقص عنه شدة الصراع الذي يعيشه مع ذلك الكائن الشيطاني الغريب، يبحث فيه عن دواء لمشاكله وكل مخاوفه، لقد وجد آلة حادة تشبه السيف، فيها نور غريب وبها سيحارب ذلك الكائن، أيقن أن القدر قد اختاره كي يحارب الشر وأصحابه.

مَثّل هذا المكان القبو في الرواية ذلك المكان الذي سيخلص **حلمي** من كل صراعاته مع القوى الغيبية، كما مثل المخزن الذي يحوي ذكرياته مع والده، الأمر الذي زاد من صراعه مع ماضيه.

❖ **المطبخ:** حضر الصراع في مطبخ بيت بطل الرواية من خلال تصادم الأحداث في ذاكرة **حلمي**، ذكره بداية في قوله "أخذتُ أصرخ كالمجنون وتوجهت نحو المطبخ وأحضرت شمعة وأشعلتها، وليتني ما رأيت ضوء الشمعة"[2].

فالمكان المطبخ هنا كان مكانا عابرا في بداية الأمر مع هذه الشخصية، لكنه مع شخصية **وفاء** لم يكن كذلك، فقد كانت نهايتها فيه، يقول السارد عنها "دخلت إلى مطبخها لتبدأ في إنهاء أعمالها المنزلية وفجأة اشتعلت أعين الموقد عينا خلف الأخرى، ووفاء لا تراها وهي منهمكة في تنظيف الأواني، ولم تر النيران وهي تتراقص وتمتد من الموقد وكأنها تنين ثائر أخذ ينفث نيرانه حولها، فوجئت وفاء بالنيران تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، فتسمرت في مكانها مذهولة، وانقضت عليها النيران لتحيلها إلى جثة

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص68.

[2] – المصدر نفسه، ص 16.

متفحمة، ومن هول ما يحدث أو لسبب لا نعلمه احترقت **وفاء** دون أن تطلق صرخة واحدة"[1].

لقد شكل هذا المكان لهذه الشخصية في الرواية نقطة صراع خفية أدت إلى وفاتها حرقا في النهاية دون سابق إنذار ودون أسباب معلومة، وماتت **وفاء** وهي لا تعرفها.

وجسد هذا المكان لحلمي زوجها ذكرى أليمة، لأنه شاهدة فيه رفيقة حياته محروقة "انهار وتفتت قلبه من الصدمة، وتساقطت الدموع من عينيه، انهار فوق جثة زوجته المتفحمة"[2].

فالمكان المطبخ في الرواية حوى الصراع بين شخصية وفاء مع الرجل ذو العينين الحمراوان ونهايتها فيه في حين غفلة عن أمرها، كما شكل عند **حلمي** المكان الذي شاهد فيه قرينته وهي متفحمة.

هذه هي أبرز الأمكنة المغلقة التي حظر فيها الصراع بشكل بارز في الرواية، وكلها حوت صراع البطل أو أحد الشخصيات المحورية مع الطرف الآخر، والذي عادة ما يكون من ذلك العالم الغيبي.

2.2.3/ الصراع في الأماكن المفتوحة:

إن المكان المفتوح كما عرفه حسين بحراوي هو مجموع "الأماكن التي تكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع، الأحياء، وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم"[3].

ووجدناها في رواية وبدأ الظلام مجسدة في مكان واحد وهو الشاطئ.

---

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ، ص40 ،41.

[2] – المصدر نفسه، ص41.

[3] – حسين بحراوي، بنية النص الروائي، ص40.

❖ **الشاطئ:** ورد ذكر هذا المكان كمكان مفتوح في الرواية مرة واحدة فقط، وذلك حين قال الراوي "ها هو **حلمي** وزوجته يجلسان في حلقة كبيرة تظم العديد من المصطفين المتجمعين حول كومة الأخشاب المشتعلة، ويتصاعد من حولهم رائحة الشواء (...)، قالت له **وفاء** وهي ترفع من صوتها قليلا حتى يستطيع صوتها أن يصل إليه وسط صخب هذه الأصوات، قم لنتمشى قليلا على شاطئ البحر، فأنا أعشق السير عليه ليلا، منذ كان والدي رحمه الله يأتي بنا هنا كل عام، أعجب الاقتراح **حلمي** (...)، وسارا وهما يتحدثان (...)، قاطعته شهقة **وفاء** وهي تشير باتجاه الظلام بجانب إحدى الكبائن (...)، نظر **حلمي** بقلق وقال لها ماذا هناك؟، لا أرى شيئا؟، قالت بصوت مرتجف مضطرب الشبح، الشبح ذو العيون المشتعلة"[1].

إن الشاطئ في هذا المقطع جاء كمكان انتقلت فيه هذين الشخصيتين من مضرب لآخر، وقد تجسد فيه الصراع بين شخصية **وفاء** وذلك الكائن الشيطاني الذي كان يلاحقهم في كل مكان، فلم يترك لهم مكانا ليرتادوا إليه، أو ليشعروا فيه بالطمأنينة والأمان، وقد اتضح فيما بعد في الرواية أنه مكان رأته وفاء في حلمها، أي كمكان احتضن بعضا من ذكريات طفولتها، وترجم فزعها وصراعها مع العوالم الغيبية وخوفها الشديد من المستقبل والعوالم المجهولة.

من خلال هذا الفصل توصلنا إلى أن الصراع في الشخصيات والزمن والمكان في رواية **وبدأ الظلام لعمرو المنوفي** قد برز بشكل قوي بين عالم النور الذي كان أبطاله ممثلي الخير، وعالم الظلام الذي كان أبطاله أشرارا من عوالم ما ورائية غيبية.

ولعل الشخصيات والصراعات بينها (خصوصا البطل)، هي التي شغلت الحيز الكبير منها، ثم يليها الزمن فالمكان، وقد ظهر لنا هذا الصراع بالدرجة الأولى أنه صراع نفسي يكتسيه الكثير من الخيال، وربما يرجع هذا إلى التوجه الأدبي والفني للكاتب في حد ذاته.

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص36، 37.

الفصـــــل الثانـي

1. الصراع الأيديولوجي (الفكري).

أ. الأيديولوجيا لغة.

ب. الأيديولوجيا اصطلاحا.

2. الصراع الحضاري:

1.2/ الصراع الاجتماعي.

2.2/ الصراع الديني.

3. الصراع النفسي:

1.3/ الصراع النفسي الداخلي.

2.3/ الخوف.

3.3/ القلق.

4.3/ الحزن.

5.3 / الألم.

4. الصراع بين الخير والشر.

5. الصراع بين الموت والحياة.

6. الصراع بين عالم النور وعالم الظلام.

حضر الصراع الداخلي في رواية وبدأ الظلام لعمرو المنوفي على عدة مستويات وأوجه، وما ساهم في بروزه حركة الشخصيات والحوارات التي دارت بينها، ونقصد بالصراع الداخلي هنا أنه ذلك الصراع الذي نشأ في البنية العميقة للرواية، فظهر على شكل صراع فكري وآخر حضاري، والصراع النفسي، والصراع بين الخير والشر، وبين الموت والحياة، وبين العوالم الخفية مثل عالم النور وعالم الظلام.

وعليه سنسعى لتقفي أشكال وأوجه الصراع الداخلي في الرواية.

إن الصراع الداخلي في العمل السردي يكشف عادة عن "فوضى الأصوات، وتداخل المكاشفات(...)، فنقع في وهم المكاشفة الذي تصنعه لعبة الخفاء والتجلي بين الروائي والراوي"[1].

وهذا الصراع نشأ في الرواية نتيجة وجود قوتين متصارعتين، هما قوى الشر ضد قوى الخير، وبدأ حين طلب مراد من حلمي أن يذهب معه إلى منزله، لكن في الحقيقة سبب الصراع وتشكل الحدث في الخطاب الروائي يعود إلى ثلاثين سنة من قبل.

هذا الصراع الذي تصاعد في الرواية بسبب "وجود قوتين رئيسيتين متضادتين، نتج عن تقابلهما أو التحامهما هذا الصراع، ما يدفع بالحدث إلى الأمام من موقف لآخر، في حركة مستمرة تقود إلى البناء الدرامي نحو ذروة رئيسية للأحداث، ومنها إلى نهاية أو ختام محدد أو مفتوح"[2].

وبهذا يكون للصراع دور أساسي في حركة الشخصيات داخل الإطار الذي اختارها له الروائي.

---

[1] – هاجر مدقن، حقيقة الصراع ووهم المكاشفة بين الروائي والراوي في رواية سأقذف نفسي أمامك لديهية لويز، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مجلة تقاليد، ع8، 2015، ص01.

[2] – http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/senario1/SEC06.DOC_cvt.htm . 25.01.2019/ 15:55.

1. الصراع الأيديولوجي (الفكري):

إن الحديث عن الصراع الأيديولوجي يقودنا بالضرورة لطرح مفهوم الأيديولوجيا الذي يحمل عدة دلالات، لأنه من بين تلك المصطلحات التي لاقت رواجا كبيرا وانتشارا واسعا خصوصا مع ظهور العولمة، فاستعمل في عدة مجالات فلسفية، سياسية، أدبية، الأمر الذي جعل من الصعب تحديد تعريف دقيق له.

أ. **الأيديولوجيا لغة:** جاء في لسان العرب أن الأيديولوجيا من الجذر اللغوي (أ.د.ل ج)، "أي أدلج القوم إذا ساروا السير كله فهم مدلجون، وأدلجو ساروا الليل كله، ودُلجه إذا ساروا من آخر الليل"[1].

فالأيديولوجيا في اللغة تفيد معنى السير في الليل والتطلع على السائر في زمن الليل.

ب. **الأيديولوجيا اصطلاحا:** من الناحية الاصطلاحية لا نكاد نمسك بمفهوم متفق عليه، وإذا تتبعنا تاريخ هذا المصطلح في المنجد الأبجدي نجد أنها "كلمة يونانية يُقصد بها فن البحث في التصورات والأفكار"[2]، أي استخلاص ما جاء في حصيلة التفكير البشري والاستفادة منه وفق منظومات معينة.

وأشار **منجد اللغة والأعلام** إلى أن "الأيديولوجيا فن يبحث في التصورات والأفكار، وهي مذهب يعتبر الأفكار المتخذة بذاتها، بغض النظر عن كل ما هو وراء الطبيعة"[3].

فالأيديولولجيا حسبه عبارة عن فن يبحث في مجموع الأفكار التي تنظر في الأمور الماوراء طبيعية. ونجد كذلك بكري خليل يعرفها حين قال أنها "علم الأفكار، وموضوع دراسته الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وأصولها"[4].

---

[1] – ابن منظور لسان العرب، ج1، ص95، ماددة (أ د ل ج).

[2] – مجموعة من المؤلفين، المنجد الأبجدي، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط5، 1975، ص184.

[3] – مجموعة مؤلفين، المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص22.

[4] – بكري خليل، الأيديولوجيا والمعرفة، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص113، 114.

فالأيديولوجيا إذن علم مستقل بذاته، مهمته دراسة الأفكار والمعاني بقواعدها وقوانينها وأصولها. وأكبر عالم وفيلسوف درسها كعلم هو **دي ستراس**، إذ عمد على "دراسة أفكار علمية بحتة بعيدة عن أنواع الخيال والميتافيزيقا كلها من جهة، والاتكاء على الموروث الديني وكل التصورات والأوهام التابعة للنفس الإنسانية من جهة أخرى"[1].

فالأساس فيها عند **ستراس** هو العمل الناتج عن الفكر الإنساني وتحول إحساساته وتطور عقلياته مع قوة الإدراك.

إذن هي عملية متعلقة في الأساس بالذهن البشري كما قال **فريدريك انجليز**، "إن الأيديولوجيا عملية ذهنية يقوم بها الفكر وهو واع، إلا أن وعيه زائف لأنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، ولو عرفها لما كان فكره أيديولوجيا"[2].

من خلال التعريفات السابقة الذكر نستخلص أن الأيديولوجبا مجموعة من الأفكار المتناسقة فيما بينها، عادة ما تسيطر على العقل البشري داخل المجموعة الاجتماعية.

إن الصراع الأيديولوجي الذي نحن بصدد دراسته في الرواية هو ذلك الصراع الذي يرتبط بنوع من أنواع الأيديولوجبا، والتي تسمى بالأيديولوجيا كرؤية كونية، لأنها "تحوي على مجموعة من المقولات والأحكام حول الكون، تستعمل في الاجتماعات الثقافية لإدراك دور من أدوار التاريخ وتقود إلى الفكر، يحكم على كل ظاهرة إنسانية بالرجوع إلى التاريخ كقصد يتحقق عبر الزمن"[3].

هي إذن تسعى لإعطاء نظرة شمولية واسعة حول الكون ومجمل الأفكار والأحكام السائدة عبر التاريخ.

---

[1] – عمرو عيلان، الأيديولولجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جانعة منتوري، قسنطينة، (دط)، 2001، ص11.

[2] – عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط7، 2003، ص34.

[3] – خليفة عبد الرحمن وفضل الله محمد اسماعيل، المدخل في الأيديولوجيا والحضارة، مكتبة سبتان للطباعة والنشر، الاسكندرية، (دط)، 2006، ص26.

ظهر الصراع الأيديولوجي في رواية **وبدأ الظلام** كرواية تعبر عن "نمط فكري علمي معرفي، تهتم بالبحث في ماهية الكون والكائنات الاجتماعية"[1].

وما كشف عن هذا الصراع هو مضمون الحدث الروائي وطبيعة الحوار بين الشخصيات.

حكت الرواية عن الصراع بين مخلوقات الأرض ومخلوقات من عالم ما ورائي، وهو صراع كوني الأساس فيه هو النزاع القائم منذ خلق البشرية حين رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام.

يقول السارد في هذا "أُعلنت حالة الطوارئ في أنحاء الكون المترامية، الخوف والفزع غطى بسحابته السوداء أجناسا كاملة، والموت بدأ يعدّ جنوده لموسم الحصاد القادم، أجناس كاملة أفقدها الرعب صوابها وانطوت تحت جناح الشر المظلم وأعلنوا الولاء للطاغية الكبير"[2].

فالصراع القائم بين البشر سببه الخوف من الموت والصراع بين الإنسان وباقي الكائنات الأخرى، هو صراع من أجل دوام الأقوى، وأي الطرفين ستسود قوته على الكون الآخر، لهذا قام في الرواية الصراع بين ممثل الإنس وهو البطل **حلمي**، وممثل الشياطين والقوى الخارقة الغيبية **مراد** في بداية السرد، ثم خلفه **سيروم**، بعد أن فشل في مهمة القضاء على الأب وابنته **شهد**، يقول الراوي واصفا هذا "الصراع سيكون مروعا والنتائج ستكون وبيلة على الطرفين، كل القوى القديمة والموغلة في القدم تمّ استدعاؤها، والفصول الأخيرة للمعركة المهلكة بدأت تُكتب"[3].

أخذ هذا الصراع في الرواية في شق كبير منه وجه الصراع الفكري، لأنه يحكي عن بدايات تشكل الكون، ومنه كشف الروائي عن أسرار النزاع بين عالمين مختلفين من حيث

---

[1] – حميد الحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، من سيسيولوجيا الواقع إلى سيسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص23.

[2] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص80.

[3] – المصدر نفسه، ص81.

التكوين والوظيفة، يقول "هناك في أطراف الكون النائية على بعد عدة ملايين من السنين الضوئية وعلى كوكب متجمد يدور في فلك نجم حار مشع، تجمعت تلك المخلوقات الثلجية في جماعات منتظمة، وأخذت تسبح في فضاء قاعة بلورية هائلة وعلى وجوهها الجامدة الشبيهة بطائر العقاب الشرس يبدوا القلق راسما خطوطه القاتمة، كان لهذا الكوكب صفات مختلفة عن كل كواكب الكون"[1].

ورغم أن الحكاية التي تسردها الرواية هي حكاية من وحي الخيال ولا يكاد يصدقها عقل، إلا أنها تضمنت الكثير من الأفكار الأيديولوجية التي تسمح باكتشاف الفروقات في هذا الكون الشاسع.

يقول كذلك "كان لهذا الكوكب صفات مختلفة عن كل كواكب الكون، فهذا الكوكب رغم قربه من نجمه الحار المشع كان باردا في مفارقة غريبة لا يعرف قاطنوه لها سببا، وكان هذا الكوكب هو الجحيم لسكانه جميعا، كان الموت يسكن حدوده، كان الفناء نصيب كل من يقترب من أرضه المحرمة، فأطراف الكوكب قاتلة، ومركز الكوكب مَفْنٍ (...)، كان كوكبا يحيا في عذاب دائم، مخلوقات لا تدري قوتها، تتغذى على الخوف والكراهية، مخلوقات لا تدري عن ماضيها شيئا، ولا تعرف معنى كلمة مستقبل"[2].

فالكوكب الذي يحكي عنه **المنوفي** هنا هو كوكب الأرض، وشرح فكرة أن أساس الصراعات فيه ترجع للخير والشر الكامن في النفوس، والأرض ما هي إلا مكان تتجسد فيه الحياة والصراع من أجل البقاء، ليكون الإنسان في مواجهة دائمة وخوف من المصير والموت المحتم الذي يطارده دائما، الأمر الذي يجعله في سعي من أجل حفظ بقائه ولو على حساب الآخر.

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص83.

[2] – المصدر نفسه، ص 82.

أشار الروائي أيضا إلى عدة أفكار عبر التنويع في أشكال الصراع في هذا العمل، وكلها صراعات شكلت هذا الكون منذ خلقه، وكانت أكبر قضية تؤرق كل الكائنات هي مشكلة الفناء التي تعتبر من أكبر المشاكل الفلسفية والأيديولوجية في تاريخ الفكر البشري.

والخوف من الفناء قاد إلى طغيان الشر على الخير، لأنه بمثابة الهاجس، لا يدري العقل أيصدقه أم يكذبه، وتلك الكائنات الغريبة التي كانت في صراع مع **حلمي** ومحاولة أخذ ابنته إلى العوالم الماورائية، كانوا مدفوعين في الأساس برغبتهم في حفظ بقائهم وسيادتهم لآلاف السنوات الأخرى القادمة، فما كان منهم إلا الدخول في صراع مع البشر، وكنتيجة عن ضغوطات سيّدهم حاكم عالم الظلام الذي كان يقضي على كل من يفشل في مهمته، ومثاله **مراد** في الرواية الذي قتل كي يصبح عبرة لمن يعتبر.

2. الصراع الحضاري في الرواية:

يتخذ الصراع الحضاري في الرواية بصفة عامة عدة أوجه، ولعل أبرزها الصراع بين الشرق والغرب، ويتكون بواسطة أشكال مختلفة وأساليب متنوعة من الحياة والتجارب، ويمس ميادين متعددة كالميدان الاقتصادي، السياسي، الاجتماعي، والثقافي وغيرها...[1].

ويمكن لهذا الصراع أن يتجلى بين شكلين آخرين، كأن يظهر بين قوتين تكون إحداهما أقدر من الأخرى وتملك زمام الأمور حول موضوع الصراع.

ويرجع سببه إلى الاختلاف بين القيود والدين، وهو حال رواية وبدأ الظلام التي كان فيها الصراع بين عالم النور وعالم الظلام، عالم النور يمثله أسياد الخير وبطل الرواية واحد منهم، وعالم الظلام تمثله الشياطين والقوى الخفية التي تملك الحيلة والدهاء في تسيير الأمور بحكم الأقدمية على سطح الأرض.

وتشكل هذا الصراع في الرواية على نمطين:

[1] – ينظر جنات زراد، الصراع الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف، مجلة إشكالات، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، ع09، ماي 2016، ص02.

1.2/ الصراع الاجتماعي: ورد تعريفه في **معجم العلوم الاجتماعية** أنه "الموقف الذي يكتسب فيه موقف ما قيمتين متناقضتين، إحداهما إيجابية والأخرى سلبية"[1].

ويعد الصراع الاجتماعي من بين تلك المواضيع المهمة التي كانت محط اهتمام العديد من الدارسين والباحثين، ونوقشت بين المفكرين في شتى المذاهب الفكرية قديما وحديثا، "بسبب تعدد التفسيرات والتحليلات حول طبيعة وأسباب حدوثه ومظاهره ونتائجه، فظاهرة الصراع القائم في المجتمعات قديمة قدم المجتمع ذاته، فإذا تتبعنا ظهوره تاريخيا نجده في شتى المراحل التاريخية ماعدا المرحلة البدائية التي مر بها المجتمع في تطوره، فقد كان الصراع موجودا بين السيد والعبد في المجتمع العبودي، وبين الإقطاع والفلاح في المجتمع الإقطاعي، وبين البورجوازي والبروليتاري في المجتمع الرأسمالي"[2]، وكلها صراعات بين قطبين مختلفين من حيث البنية والتشكيل ومركز القوة، هذا لأن نظرية الصراع الاجتماعي "تعتبر من أكثر النظريات السيسيولوجية اقترابا من مفهوم القوة بحثا وتحليلا، ونقطة انطلاق، فالصراع كعملية اجتماعية تجري حتما بين قوى مختلفة ومتساوية ومتباينة في حجمها وقدرتها، بل إن الموضوعات الاجتماعية التي ناضل الناس من أجلها ويكافحون هي مصادر للقوة ومرتكزات أساسية لاكتسابها، لذلك فإن صراع القوة كما تظهره نظرية الصراع يعتبر جوهر الدينامية في الحياة الاجتماعية وأساس التغيرات"[3].

فالإنسان بطبعه يميل لمشاركة الآخرين كل همومه ومشاكله، حتى وإن كانت بطريقة عكسية وسلبية، ومنه ينتج الصراع، هذا الأمر الذي جعل الدارسين يتفقون أنه "وضع تكون فيه مجموعة معينة من الأفراد، سواء قبيلة أو مجموعة عرقية أو دينية أو لغوية أو

---

[1] – نادية عيشور، الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2008، ص270.

[2] – محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدولاي، عمان الأردن، ط1، (دت)، ص86.

[3] – زيات فيصل ومخطار ديدوش محمد، نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق داهر ندوف، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج2، ع01، 2019، ص02.

اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو أي شيء آخر، تفرط في في تعارض واعٍ مع مجموعة أو مجموعات أخرى معينة، لأن كل هذه المجموعات تسعى لتحقيق أهداف متناقضة فعلا وتبدوا كذلك"[1] .

لهذا جاءت الرواية العربية لتركز على هذا النوع من الصراع بغية كشف الظلم والتفاوت بين فئتين داخل المجتمع وتتبع حركته بداخلها.

وتميز هذا الصراع في رواية **وبدأ الظلام** في أنه يكشف التفاوت بين قوتين بارزتين في الكون، هما قوى العالم الحقيقي وقوى العالم الماورائي ، وعادة ما كان ينتج هذا الصراع عن "فقدان العدالة الاجتماعية"[2]، لأن هناك قوى اجتماعية معادية للأصالة والفطرة الإنسانية (الخير)، وعادة ما تسعى هذه القوى المضادة إلى طمسها والتغلب عليها بشتى الوسائل، حتى وإن كلف ذلك فقدان المبادئ والقيم.

ومثل هذه القوى المضادة في الرواية قوى عالم الظلام التي جعلت عائلة حلمي تعيش في كآبة وحزن كون هذه الأخيرة فيها ممثل عن عالم النور، الأمر الذي دعى إلى احتدام الصراع وصعوده إلى الذروة (المواجهة حتى الموت).

ويصف لنا **حلمي** بداية هذا الصراع بعد أن كان يحيا حياة عادية وسط مجتمع كباقي المجتمعات، يقول "مازلت لا أصدق ما حدث في ذلك اليوم، إن الذكريات تتداعب أمامي وكأنها حدثت في الأمس القريب، لا أعرف إن كنت أقصها عليكم أم أجعلها تموت معي في نهاية الرحلة، لا أعرف ولكنني مللت من الوحدة ومللت من الصمت ومللت الملل ذاته، سأقص عليكم تلك اللعنة التي لاحقتني وأطارت صوابي ليالي كثيرة"[3].

إن البطل هنا يسرد لنا بداية معاناته ونقطة انقلاب حياته التي انتقلت به من ذلك الرجل الذي يحيا حياة بسيطة كموظف عادي يكد ويعمل من أجل الحفاظ على استقرار

[1] – داروني جيمس وبالستغرف روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، (تر) وليد عبد الحي، دار كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1985، ص140.

[2] – جنات زراد، الصراع الحضاري في الرواية العربية، ص57.

[3] –عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص07.

عائلته الصغيرة وتلبية كل حاجياتها، إلى ذلك الرجل المليء بالمخاوف والهواجس والخوف الشديد من فقدان ابنته محور الصراع في الرواية.

لهذا ظهر لنا في الرواية وحيدا ومهمشا، وبهذا يكون قد أصبح من "أهم الشواهد الاجتماعية الدالة على مدى قوة وطأة القهر الطبقي وجسامة المآسي الاجتماعية"[1].

وفيها سرد لنا مأساته التي بدأت حين قال "في أحد الأيام الباردة حيث الغيوم تجتثم على صدرك والبرد ينخر عظامك تبدأ قصتي المشؤومة بتلك الابتسامة اللعينة من ذلك الشخص الكريه **مراد**، وهو لمن لا يعرفه جاري الذي يقطن معي في البناية ذاتها، وذلك الشخص من نوعية الأشخاص السمجة، اللزجة التي تفرض نفسها عليك وكأنها مصيبة أصابتك"[2].

ثم يواصل سرد طبيعة وظيفته الاجتماعية، والتي كانت دافعا من دوافع صراعه مع **مراد** سبب كل مشاكله وهمومه، يقول "كان جاري، وللأسف زميلي في العمل...، نحن نعمل معاً في نفس الشركة ونفس القسم، بل ونفس الاختصاص، فنحن محاسبو ضرائب في المكاتب الشهيرة، والتي يحتل مقرها دورا كاملا في بناية فاخرة في أرقى أحياء القاهرة"[3].

فمراد كان يترقب **حلمي** من خلال مكان العمل، وفيه ترصده بغية الإحاطة به وبأسرته الصغيرة، كونه رسولا وجنديا من جنود عالم الظلام الذي كلف بهذه المهمة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى تشكل الصراع الاجتماعي في الرواية من خلال إقامة البطل علاقات اجتماعية مع باقي الشخصيات في الرواية، سواءً أكانت شخصيات محورية أو هامشية.

---

[1] – دريدي يحي الخواجة، إشكالية الواقع و التحولات الجديدة في الرواية العربية، دراسة وعي المجادلة –الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دط)، 1999، ص86.

[2] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص08.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فمثلا نجده قد أقام علاقات اتحاد مع إحدى الشخصيات التي مثلت عالم النور، وهي شخصية **الحكيم ساغور**، ضد شخصية **سيروم** ممثل عالم الظلام، يقول السارد في هذا السياق "اصطفوا خلف بعضهم البعض كجنود في معركة، وانتظروا القوات المهاجمة للذود المبعوث عن الأسطورة، اتسعت عينا **حلمي** جين وصلته الأفكار كاملة (...)، ستكون الحرب الأولى والأخيرة هي حربهم ضد الشر الأعظم، وستبدأ المعركة بمجرد أن يأتي النذير، والنذير هو المخلوق المضيء (...)، ساد سكون رهيب ثم ارتفع هدير رهيب، وظهرت في الأفق الكتيبة التي يقودها **سيروم**، وفي سرعة رهيبة تحركت مجموعة من العمالقة واندفعوا نحو **حلمي** يدفعونه لقلب كهف قريب، ودخل معه عدة مخلوقات منهم، أجلسوه ثم أحاطوه بأجسادهم وكأنهم يصنعون ساترا لحمايته"[1].

هكذا شكل جنود عالم النور قلعتهم الحصينة بالإحاطة بممثل عالم الظلام والشر فتصاعد الصراع شيئا فشيئا من أجل تحقيق الفوز والانتصار.

يواصل بعدها السارد وصف طريقة التغلب على قوى الشر، يقول"...صرخة فائقة، موجات فوق صوتية هائلة ، موجات عاتية انطوت كطلقة مدفع عملاق في وجه **سيروم** وكتيبته فاجتاحتهم كإعصار ومزقتهم وبددتهم ومحتهم من الوجود، وأصبحوا كهشيم تذروه الرياح، وفي بعده الخارق أطلق الكيان الأسود الشرير صرخة ألم هائلة، ففشل **سيروم** وكتيبته، كان بداية الهزيمة له، الأسطورة القديمة تعث من جديد والنهاية تقترب، أطلق صرخة غضب جديدة وهو يرسل بعقله رسائل خارقة، وصلت في نفس اللحظة لعقول حلفائه في كافة الأبعاد، فكشفوا هجومهم وقاتلوا بضراوة واستماتة (...)، وعم الخراب في منطقة هائلة من الكون"[2].

فبعد أن اتحدت قوى **حلمي** مع جنود عالم النور، وبعد استعدادات كبيرة وخطط محكمة ومدروسة، وبفضل شحن أنفسهم بشحنات الخير الإيجابية استطاعوا التغلب على الشر

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص117.

[2] – المصدر نفسه، ص 118، 119.

والفوز على ممثله العملاق الذي لا يُغلب، وفي آخر هذا الاتحاد وقف البطل في ذلك الكهف "ارتجف وانقبض قلبه، ثم انتفض واقفا وهو يرى الملايين من المخلوقات العملاقة تتساقط فاقدة الحياة، لقد ضحّت المخلوقات العملاقة بنفسها من أجل هدف أسمى هو الحياة، "أي شجاعة هذه، أي ولاء وإيمان هذا، كوكب كامل كان يعرف حقيقة نهايته، كوكب كامل اختار أن يضحي بحياته وحضارته دون تردد من أجل القضاء على الشر، من أجل أن ينعم الكون بالخير"[1].

بهذا يكون الصراع الاجتماعي في الرواية ظهر في تلك الحرب التي نشبت بين طرفين مهمين في الرواية هما **حلمي** و**سيروم**، فالأول هو صورة عن فئة من المجتمع عادة ما تكون خيرة تسعى إلى تحقيق الراحة والطمأنينة بأبسط الوسائل والطرق في حياتها، وتواجهها في الحياة عقبات ومصاعب تؤدي إلى صراعات لا تنتهي، قد تكلف الكثير إن لم يستسلم الطرف الضعيف فيها، لأنه المتضرر في مثل هذا النوع من الصراعات، ويكون الطرف الثاني يمثل بالضرورة عنصر قوة من شأنه أن يفرض القوانين والقواعد.

وينتهي هذا الصراع في رواية وبدأ الظلام إلى تغلب قوى عالم النور على قوى عالم الظلام، لأن لديها مبادئ تؤمن بها، وأهدافا سامية تسعى إلى تحقيقها، إنها تمثل الحقيقة التي يبحث عنها الجميع.

ركز **عمرو المنوفي** في روايته **وبدأ الظلام** بشكل كبير على الصراع الاجتماعي كشكل من أشكال الصراع الحضاري في روايته، فصوره تصويرا واقعيا لحد ما، رغم أن أحداثه هي أحداث متخيلة تحكي عن عوالم ميتافيزيقية، إلا أنه استطاع تقديم نموذجا عن العذاب والقهر والصبر، وتضامن **حلمي** مع جنود عالم النور، وكأنه يخبرنا أنه إذا اتحد الإنسان مع طرف آخر إيجابي سينتصر في آخر الأمر ويحقق أهدافه و "هذه هي طبيعة الإنسان، يقاوم من أجل البقاء ويرفض الاستسلام لليأس"[2]، فصراعه في الأرض

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص119، 120.

[2] – جورج سالم، المغامرة الروائية (دراسة في الرواية العربية)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1973، ص 58.

ضد كل من يؤذيه هو صراع فطري بدافع الحفاظ على الأمن والسلام، وفي هذه الرواية عرض معاناة حلمي ضد **مراد**، ثم ضد سيروم، ثم ضد جيش كامل، لينهي كل هذا بالانتصار رغم أنه أعزل مقارنة بما للعدو من أسلحة وقوة في التخطيط والتنفيذ، وبهذا تكون الرواية قد كشفت عن نوع من العلاقات، تربط بين من يملكون القوة وفاقديها، ودائما ما تكون الغلبة للخير لأنها الفطرة التي فُطر عليها الإنسان.

2.2/ الصراع الديني: يلعب العامل الديني إلى جانب العوامل الأخرى دورا كبيرا في إثارة الصراع في كل الحضارات التي شهدها العالم، ويمكننا القول عنه أنه ذلك الصراع "الذي يستجيب لواحدة من هذه المعايير، صراع بين مجموعات تتبع ديانات مختلفة، أو صراع بين مجموعات من الطوائف في نفس الدين أو القضايا التي تشمل قضايا دينية مهمة"[1].

كما يمكن أن يكون سبب الصراع الديني هو الاستعباد والاستغلال، فيلجأ الإنسان بالتدبر لتلك الديانة التي تنصف الإنسان وتدافع عنه ككيان بشري، "فالظلم والفقر والجهل والاحتلال يمثل منطلقا خصبا للبحث عن عقيدة صراعية تحقق القدر الأكبر من التناقض مع الخصوم، وتعطي للصراع معنى مطلق ومقدس ليتجاوز عالم الأسباب ومسبباته الموضوعية"[2].

ويعد الاختلاف في الديانات من بين أهم وأبرز أسباب هذا الصراع، لان الاختلاف فيها يؤدي بالضرورة إلى اختلاف في التفكير والتعامل وطريقة الحياة، لهذا "استُحضرت الصراعات والحروب بين الشعوب والأمم، وهي الصيغة المثلى لتقويض القيم الإنسانية للدين، وجعل الصراعات أكثر دماوية وديمومة"[3].

---

[1] – سامية ربيعي، في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، ع2، 2016، ص16، 117.

[2] – إبراهيم الخطيب، هل نحن أمام صراع ديني؟، مجلة دنيا الوطن، ع05، ط2، (دت)، ص36، 37.

[3] – أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، دراسة في الأقليات والحركة العرقية، الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، ط3، 2004، ص166.

ظهر الصراع الديني في رواية **وبدأ الظلام** في بداياتها مع اكتشاف **حلمي** أنه في صراع مع قوى غيبية خارقة من عالم غير عالمه، لهذا كان ظهوره مقارنة بظهور الصراع الاجتماعي ضئيلا.

ومن المقاطع السردية التي رصدنا عبرها الصراع الديني قول السارد على لسان **حلمي** وهو في موجهة مع مراد، "تجاهلت الألم وانتصبت واقفا على قدمي واندفعت نحوه صارخا من جديد، ابنتي أيها الوحش، دفعني من جديد لأرتطم بالجدار بقوة شديدة فسقطت وأحسست كأن شاحنة صدمتني، فتطلعت إليه برجاء ورفعت يديّ متوسلا وأنا أبكي ودموعي تتساقط على الأرض، ابنتي، ابنتي...، تَحركتْ شفتاه بصوت عميق وكأنه يأتي من قبر عميق أو من قلب الجحيم، ابنتك الآن ذهبت ولن تعود، أزداد لعابي ثم قلت له بلهجة متضرعة استحلفك بالله أن تخبرني أين هي؟، وما إن ذكرت اسم الله أمامه حتى انتفض وتراجع للخلف وارتطم بالحائط بشدة وزاغت عيناه وأخذت تتماوج بين الأحمر والأسود، وأخذ يصرخ وكأنه يصطلي في نار الجحيم..."[1] .

تكشف لنا ردة فعل **مراد**، بعد ذكر اسم الله أمامه، أنه مخلوق شيطاني خارج عن طاعة الخالق، وديانته غير الديانة الإسلامية، لأنه من الشياطين وهي التي تضطرب لمثل هذه الأقوال.

فمراد إذن هو كائن شيطاني في هيئة إنسي، جاء لتحقيق هدف من الأهداف، وقد تبين لنا في الرواية أنه جاء لاختطاف الصغيرة **شهد**، وأَخْذها إلى عالمهم الخاص، وقد بُعث من طرف سيد عالم الظلام كما ورد على لسان السارد.

إن الصراع الديني في المقطع السردي السابق كان بين شخصيتين كشفت عن الصراع بين عالم الإنس وعالم الشياطين في الكون، ومكافحة الشر للخير والظلام للنور.

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص 18، 19.

3. الصراع النفسي:

ارتبط هذا الصراع اشد الارتباط بالإنسان، لقد ولد معه وتطور بتطور الفكر البشري على مر العصور، "إنه قوة وجودية في الحياة خارج كيان الإنسان، حيث كانت صورة الشيطان الممثل للشر كأنها حقيقة قائمة في الخارج، وعلى الإنسان الذي أراد نصرة الخير أن يصارع هذا الكيان الشرير المناوئ له في الحياة"[1].

لهذا كانت الكثير من الروايات تحكي عن التجاوزات الإنسانية وشرور النفس وآثامها، تحكي عن حزن الشخصيات، آلامهم واغترابهم، "واعتمادا على هذا التصور دمج الأدباء أعمالا تصور صراعات مريرة، واجه الإنسان فيها قوى الطبيعة وقوى الشر التي كانت تحول بينه وبين تحقيق أهدافه ومصالحه في الحياة"[2].

ومنه أصبح الإنسان ومشاكله محور التجربة الروائية، فاستفاد الكتاب من تلك الدراسات النفسية ومختلف تحليلاتها، ومن ثم إسقاطها على الشخصيات داخل الأعمال السردية.

وعلى العموم يمكننا الحديث عن الصراع النفسي "حين تتجابه عند شخص ما متطلبات داخلية متعارضة، فقد يحدث الصراع نتيجة تضارب بين أوامر الواجب وميول النفس، ويحدث أحيانا حين يريد الشخص إشباع حاجياته في وقت واحد، وأحيانا عندما يعترض عائق مادي أو اجتماعي طريق إشباع حاجة أو تحقيق غاية"[3].

فالصراع النفسي إذن يحدث حين لا تستطيع الشخصية تحقيق أهدافها وغاياتها نتيجة عوائق أو شخصيات مضادة لها، ونتيجة عدم القدرة على الوصول إلى الغايات تحدث الأزمات النفسية التصادمية مع الآخر.

---

[1] – عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص165.

[2] – رالف بارتون، إنسانية الإنسان، (تر)، سلمى الخضراء الجيوسي، دار المعارف، بيروت، لبنان، (دط)، 1961، ص120.

[3] – خير الله عمار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، الدار الجامعية، الجزائر، (دط)، 1982، ص80، 81.

عرفت رواية **وبدأ الظلام** صراعا نفسيا حادا في شخصية بطلها الذي كان يواجه أزمة نفسية حادة، وقد أخذها الكاتب بالتحليل عبر الكتابة عن مشاعرها الشعورية واللاشعورية، "محاولا التغلغل في أغوار النفس البشرية من خلال الملاحظة الدقيقة لسلوك الشخصية وتصرفاتها إزاء الأحداث وتطورها"[1].

فعبر الصراع النفسي الذي شهدته شخصية **حلمي** تمكّن الحدث من النمو واستطاع الزمن أن يسير ويتقدم نحو النهاية في إطار مكاني، كما استطاعت هذه الشخصية أن تتطور من جانبها الداخلي، "أي أن نموها كان نموا نفسيا، وقد برز هذا في الرواية حين ازداد الاهتمام بالنفس البشرية والتركيز عليها..."[2]، حيث أنه الوحيد الذي كان يعاني من أزمات نفسية حادة نتيجة التهديدات الخارجية التي كان يتلقاها من طرف عدوه الأول **مراد** ثم **سيروم**.

1.3/ الصراع النفسي الداخلي: شهدنا هذا الصراع حاضرا بقوة في شخصية البطل، المحرك الرئيسي للأحداث في الرواية، وذلك على طول عدة مقاطع سردية، ومنها ما جاء في البداية حين كان يخاطب نفسه قائلا "عشرون عاما مضت ومازالت الصرخة تدوي في أذني، ورغم عدم إيماني بما قاله مراد بخصوص ابنتي إلا أنني كنت على يقين من أن هناك خطرا ما لا أدري كنهه، اندفعت كالمجنون نحو غرفة ابنتي يكبلني الظلام الدامس والخوف الشديد، كانت الصرخات قد دوت مرة واحدة ثم توقفت"[3].

إن السبب الرئيسي إذن لصراع **حلمي** مع نفسه هو خوفه من فقدان شهد ابنته الوحيدة، ومطاردة **مراد** له حتى في أحلامه، ومن شدة تصاعد الصدمات ورغبته في أسباب تغير حياته وقلقه على مصيره عادت به الذاكرة إلى سنوات طفولته، حين كان عمره عشر سنوات، يقول "أتت في رأسه ومضة وعادت الذاكرة به ثلاثين عاما إلى الخلف، كان في

[1] – فضيلة دروش، سيسيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (دط)، (دت)، ص182.

[2] – عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت)، ص25.

[3] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص15.

سن العاشرة، وذات ليلة خريفية مقبضة أخذه والده إلى قبة المنزل المظلم، وكان والده في حالة صحية سيئة، إلا أنه أن يصحبه معه إلى ذلك المكان البارد الموحش (...)، لم يكن القبو يحتوي على أي شيء كأي قبو آخر يحترم نفسه، إلا أن والده أشار إلى ركن شبه مظلم في أحد جوانب القبو، وأخبره قائلا بكلمات تشبه التعاويذ، مازالت محفورة في عقله ووجدانه، إننا مختلفون لسنا كالآخرين، كُتب علينا أن نقاتل ليظل النور يعم الكون، يوما ما ستحدث أحداث جلل وستجد نفسك في قلب الأحداث كالغريق الذي لا يعلم شيئا عن وجود الشاطئ، فلا تخف ولا تهلع فأنت ستكون الدرع الذي يحمي من تحب، ستكون أنت السبيل إلى النور بعد انبلاج ليل الظلام السرمدي"[1].

وبهذه الذكرى استطاع **حلمي** أن يلملم بعض التفسيرات التي من شأنها أن تزيل الإبهام المتكون في ذهنه، ويدرك سبب آلامه والخطر المحدق به، كما استطاع أن يعرف السبل التي عليه أن يتخذها كي ينقض فلذة كبده من قوى الشر.

2.3/ الخوف: صور لنا الكاتب في الرواية عائلة صغيرة يكتنفها الخوف، مكونة من الأب، الأم، والبنت الصغيرة، لقد كانوا يعيشون في رهبة وتهديدات شخصيات شريرة، يقول الأب"...ذهني مشتت وكلمات **مراد** تتردد في ذهني بلا توقف، ستموت ابنتك ميتة شنيعة حينما يحتوي الظلام شلالات المطر، يا إلهي لقد أصبحت الأمطار كالشلال فعلا (...)، انطلقت صرخة ابنتي تشق الليل، وكانت الصرخة تشبه صرخة إنسان يحتظر"[2].

لم يكن الخوف يلاحق هذه العائلة الصغيرة في بيتهم فقط بل حتى في لحظات تنزههم وتمتعهم بلحظات من الخصوصية، وذلك حين خرج الزوجان للتنزه على شاطئ البحر، لاحظت الزوجة وكأن أعيناً تلاحقهم، وحتى حلمي لاحظ ذلك، وكي لا يزيد من خوف **وفاء** ادعى أنه لم يرى ولا يوجد أي شيء، يقول "انتفضت زوجته وهي تدور إلى نفس المكان الذي اتجهت إليه عينا زوجها وهي تقول بصوت مرتعب، ماذا هناك؟، نظر لها

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص 59.

[2] – المصدر نفسه، ص13، 14.

حلمي نظرة شاردة وقال لها، لا شيء، لا يوجد شيء، يبدوا أنني مرهقٌ بعض الشيء، وبداخله تكوّن إحساس مُقبض ومخيف..."[1].

ونجد كذلك مطاردة الشبح **لوفاء** و**حلمي** حتى في أحلامهما، يقول "يصحوا **حلمي** من نومه مفزوعا ويسأل زوجته وهو يرى أمّارات الرعب المروع مرسومة على وجهها، أهو نفس الكابوس البشع؟، ثم تدفن وجهها بين كفيها وتجهش بالبكاء فيضمها **حلمي** إلى صدره وهو يتلوا بعض آيات القرآن، وفي ذهنه يمر نفس الكابوس، فمنذ عادوا من الشاطئ والكابوس اللعين يطاردها ويطارده، ورغم أنه لم يخبرها بما يراه حتى لا يزيد من رعبها، إلا أنه أصبح بداخله إحساس شبه مؤكد أن الأمور لن تمرّ على خير أبدا، وأغمض عينيه وفتحهما عدة مرات ليطرد من رأسه تلك العينين المشتعلتين التي تطارده"[2].

فحلمي هنا لعب دور الرجل الذي يبحث عن توفير الأمان لزوجته، على الرغم من أنه كان يدرك أن هناك خطرا ما يحدق بهما.

ويتحدث الراوي عن الخوف الناتج عن احتدام الصراع في الرواية، إذ يقول "لو علم الطفل ما ينتظره من هول هذه المرحلة من تاريخنا لانتحر في رحم أمه المضيء (...)، أعلنت حالة الطوارئ في أنحاء الكون المترامية، الخوف والفوز غطى بسحابته السوداء أجناسا كاملة، والموت بدأ يعدّ جنوده لموسم الحساد القادم، أجناس كاملة أفقدها الرعب صوابها وانطوت تحت جناح الشر الأعظم، وأعلنوا الولاء للطاغية الكبير (...)، الصراع سيكون مروعا والنتائج ستكون وبيلة على الطرفين، كل القوى القديمة والموغلة في القدم تم استدعاؤها، والفصول الأخيرة للمعركة المُهلكة بدأت تكتب، لا شيء، سيوازي هذه المعركة التي لا ندري لماذا ستبدأ ..."[3].

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص38.

[2] – المصدر نفسه، ص38، 39.

[3] – المصدر نفسه، ص80، 81.

إن الخوف الذي نتج عن الصراع بين طرفين مختلفين ومتضادين في الرواية، لم يشمل فقط البطل والشخصيات المحورية، بل انتشر في نفوس كل الشخصيات، هذا ما لمسناه في الحوار القائم بينهما وردود أفعالهما.

3.3/ القلق: كان القلق من المشاعر التي اكتنفت مشاعر **حلمي** في الرواية، وذلك نتيجة التهديدات التي كان يتلقاها من العالم الخارجي، هذا ما لمسناه في حواراته مع باقي الشخصيات، نذكر هنا حواره مع **مراد** الذي جاء فيه " رغم أن كلماته كانت تجعل كل جزء في بدني يقشعر، بل وتملؤني رعبا، إلا أن مصير ابنتي كان الشيء الوحيد الذي يطغى على تفكيري، هززت رأسي يمينا ويسارا لأُبعد العرق المتدفق الذي أخذ يغمر وجهي، وجهت له حديثا متضرعا آملا أن ينتهي وقته كما قال، أو أعرف أيّ معلومات عن مصير ابنتي، فقلت له بصوت حاولت أن أجعله شجاعا، إلا أنه خذلني:

صديقي **مراد** أخبرني أين ابنتي وما مصيرها، ولماذا يحدث كل ذلك؟، ثم افعل بي ما تشاء، نظر إليّ بنظرة تطل منها نيران الجحيم ثم قال بصوته العميق:

أنا أستطيع أن أفعل بك ما أشاء وقتما أريد أيها الفاني القذر، ثم إني لست **مراد** ولست صديقك"[1].

فسبب قلق البطل في ما سبق هو الخوف على مصير **شهد**، وما كان يقلقه أكثر تلك الهجمات التي كان يتلقاها من **مراد** بين حين وآخر، بغية نشر الرعب في داخله.

لمسنا القلق أيضا في نفسية وفاء حين خرجت بصحبة زوجها للتنزه، يقول " انقبض قلب **وفاء** فازدادت تمسكا بيد **حلمي** الذي أحس بما تحسه، ضمها إليه وهو يقول أن السكون والهدوء في هذه المنطقة مُقبض وكئيب، هيا لنعود إلى الكابينيه، وقاطعته شهقة **وفاء** وهي تشير باتجاه الظلام بجانب إحدى الكبائن وقد اختنق الكلام في حلقها، فنظر

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص26.

لها بقلق وقال: ماذا هناك؟ لا أرى شيئا، تغلبت **وفاء** على خوفها وقالت بصوت مرتجف مضطرب، الشبح ذو العيون المشتعلة..."[1].

فالقلق المتشكل في نفس الزوجة هما كان سببه المطاردات الخفية لذلك الشبح الملعون الذي لم يتركهم لا في يقظتهم ولا في أحلامهم، وهذه الحادثة النفسية وجدناها حاضرة بكثرة عند هذين الشخصيتين، لأنهما كانا محط أنظار من طرف جنود الظلام .

4.3/ الحزن: من الشخصيات التي انعكس عليها الحزن بشكل واضح في الرواية شخصية حلمي في الرواية، لأن كل المطاردات كانت خلفه ولم يكن يدري سببها، الأمر الذي ساهم في تصاعد مشاعر الحزن في داخله، وكانت تصله تهديدات غير مباشرة، فإما أن يسلمهم ابنته طواعية أو كرها، إلا أنه لم يستجيب فتفاجأ بزوجة محروقة داخل البيت، يقول "فوجئت **وفاء** بالنيران تحيط تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، تسمرت في مكانها مذهولة وانقضت عليها النيران لتحيلها إلى جثة متفحمة، ومن هول ما يحدث أو لسبب لا نعلمه احترقت **وفاء** دون أن تطلق صرخة واحدة، في نفس الوقت الذي عاد فيه زوجها إلى المنزل ليراها على هذه الحالة، وكأن هناك من دفعه ليعود في هذه اللحظة ليرى هذا الهول، انهار **حلمي** وتفتت قلبه من الصدمة وتساقطت الدموع من عينيه، انهار فوق جثة زوجته المتفحمة، ومن وسط دموعه رآه هناك وهو يتوارى ويختفي في العدم، الشبح مشتعل العينين"[2].

وقبل أن تموت **وفاء** بهذه الميتة المأساوية تنبأت لها الغجرية التي التقت بها في إحدى الممرات بهذا المصير الذي بعث في نفسها حزنا كبيرا وشتاتا في أن تصدق ذلك أم تكذبه وتعتبر كلامها مجرد تراهات عجوز منجمة، يقول السارد "فهاهي تلك الغجرية غريبة الملامح تنتفض لمرأى يد وفاء وتلملم أشياءها وهي تردد في رعب شديد، كان الله في عونك يا ابنتي، لقد انفتحت بوابة الجحيم وأول من سيحترق بنيرانها سيكون أنت، ثم

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص 36، 37.

[2] – المصدر نفسه، ص40، 41.

اندفعت في خطوات أقرب إلى العدو مبتعدة، مخلفة وراءها **وفاء** والتي صدمتها العبارة، حتى أنها وقفت مذهولة لا تعرف ماذا تفعل أو تقول، وما إن رجعت إلى البيت حتى حكت لزوجها ما حدث، فطمأنها بقوله كذب المنجمون ولو صدقوا"[1].

لكن للأسف وقعت نبوءة المنجمة وماتت **وفاء** حرقا من حيث لا تشعر ولا تدري، وكان زوجها يدري أن قوى الشر لن تتركهم في حالهم مطلقا.

إن ظاهرة الحزن في الرواية من بين تلك الظواهر النفسية التي تُفرض على الإنسان فرضا وعنوة عنه نتيجة ضغوطات القوى الخارجية، سواء أكانت هذه الضغوطات من الحياة، أو من طرف البشر، لكن الأمر الذي لا خلاف فيه أنها من أحد أهم أسباب الصراع النفسي، وهذا ما ظهر لنا في رواية **وبدأ الظلام**.

5.3/ الألم: كانت الشخصية البطلة والشخصيات الخيّرة المحيطة بها شخصيات تتألم نتيجة العذاب الذي كانت تتلقاه سواء من **مراد** بداية أو **سيروم** خليفته الذي جاء بعده، ليكمل مهامه الشريرة، يقول **حلمي** "ظلام شديد يكتنفني، ودوار شديد يحيط برأسي، وألم في معصمي وعيناي زائغتان والرؤية مشوشة، وإن بدأت الصورة تتضح رويدا رويدا فها هو مراد يقف أمام ما يشبه المذبح الذي أشاهده في الأفلام السينمائية وأنا أقف على الحائط المقابل ويداي مقيدتان بسلاسل تتدلى من السقف وتجبرني على أن أظل واقفا"[2].

إن الألم الذي يحكي عنه **حلمي** هو ألم نتج عن المواجهة الشديدة التي خاضها مع خصمه الذي تهيأ له في صورة إنسي، كل هذا من أجل منعه من الدخول إلى بيته، ومن هنا أدرك أنه في خطر حقيقي ولا بد له أن يتحرك في سبيل انقاذ عائلته الصغيرة.

وتظهر لنا نفس الشخصية متألمة في مقطع سردي آخر"...استيقظ دفعة واحدة، كان الألم مروعا، ويشعر أن هناك من زج جمرات مشتعلة في ذراعيه، كان يشعر أن كل خلاياه تئن حتى أن دموعه كانت تسيل على خديه دون أن يستطيع أن يوقفها، استوى

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام ص39، 40.

[2] – المصدر نفسه، ، ص 23.

جالسا، ثم تحسس مكان الألم في ذراعيه وهو يتوقع أن يجد ذراعيه قد تشوهت بفعل الاحتراق الذي أحدثه ذلك الكائن الشيطاني، إلا أنه ويا للعجب فوجئ بأن ذراعيه سليمتان، وعلى الفور ترجم عقله ما حدث له، فتأثير ذلك الكائن كان وهميا، كان تأثيرا عقليا بحتا "[1].

فهذا الألم الذي تعاني منه هذه الشخصية تجاوز الألم الجسدي إلى الألم العقلي، لقد كانت هذه الشخصيات الشريرة تهدف إلى بعث الجنون في عقله كي لا يقاومهم ويفسح لهم الطريق في تنفيذ مخططاتهم الدنيئة.

نجد الراوي يصف لنا آلام **شهد** بعد اختطافها " حاولت أن ترفع رأسها لتنظر حولها، لتتفقد هذا العالم النوراني العجيب، وأخذت تتساءل بداخلها هل ماتت ودخلت الجنة (...)، هي تشعر بآلام عنيفة في جميع أجزاء جسدها، حاولت مرة ثانية أن تُرجع رأسها علها ترى أي شيء يزيل هذا الغموض المحيط بها، حاولت وحاولت حتى هاجمها الألم وأخذها إلى مكان لم يره هذا العالم من قبل، إلى عالم الغيبوبة والظلام"[2].

ويظهر هنا أن ألم شهد نتج عن قوة اختطافها من يدي والديها، وهو الألم الذي قادها للدخول في غيبوبة وفقدان الوعي.

[1] _ عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ، ص56، 57.

[2] – المصدر نفسه، ص30، 31.

4. الصراع بين الخير والشر:

إن الصراع بين الخير والشر من بين تلك الصراعات الوليدة مع الإنسان،إنها مرتبطة به، فمنذ أن خلق الله آدم عليه السلام والخير والشر موجودان وفي نزاع "وفي الصراع بين الخير والشر قد يتمسك الانسان بالقيم الروحية والخلقية فيدرك ما هو أعلى وما هو أدنى، أو قد لا يميز بين الانفعال والانضباط، أو بين الصواب والخطأ، فيفقد الاتزان أو الانقسام عن الذات، وبين أفعال الخير أو سلوك الشر هناك مؤشرات عديدة تؤكد أن في الأفراد أو الجماعات صراعات في الشخصية بين الدوافع والميول، تؤدي في نهاية المطاف إلى الرغبات الممكنة والرغبات المتعارضة، وفي هذه الرغبات الممكنة والرغبات المتعارضة تشعر بالألم وتحاول التخلص منه، ومعها نجد نفوسنا تضيق بالقيود التي تفرض على حياتنا، أو نُسرّ حين تكون حركاتنا وتصرفاتنا طليقة دون رقيب من سلطة القانون، وعليه فإن الخير يرتبط بالإشباع الكلي للرغبة، والشر هو العجز الكلي للرغبة، والانسان بطبعه ميال إلى الإشباع الكلي للرغبة، حيث تكون الرغبات ممكنة معا، ويرفضها إذا كانت متعارضة ومتنافرة معا، فالرغبات الممكنة في المحصلة هي أفضل لحياة الانسان واستقرار شخصيته"[1].

لاحظنا في رواية وبدأ الظلام أن ثنائية الخير والشر حاضرة بقوة، مَثّلَ الخير عالم النور وكان منهم **حلمي**، ومَثّل الشر **سيروم**، واشتد الصراع واحتدم بينهما من أجل حفظ البقاء وإبقاء المكانة في الكون، وكأنّ الروائي أراد أن يُعرف للمتلقي متناقضات الحياة، لأننا "لن نستطيع أن نعرف جمال الخير إلا إذا رأينا قبح الشر وعرفناه، ولن نستطيع أن نعرف قيمة الغنى إلا إذا عرفنا شدة الفقر أو تذوقناه"[2].

---

[1] – ياسين الجبلاني، صراع الشخصية الإنسانية.. بين الخير والشر. ينظر الرابط:
http://alrai.com/article/739417.html. تاريخ فتح الرابط: 22/ 01/ 2020، الساعة: 13:55.

[2] – سالم الصباغ، تاريخ الصراع بين الخير والشر– قراءة من منظور ديني، مجلة أمة واحدة، www.omawahida.com/ 22.01.202/ 14:21.

فالصراع إذن بين هذين الثنائيتين صراع مرتبط بالحياة وكائناتها، "فطبيعة النفس البشرية مزدوجة لأنها خُلقت من مادة كثيفة وروح شفافة، وباستعدادات متساوية لقبول الخير والشر، إلا أن الصراع بينهما سيبقى دائما، وهو كالقتال العنيف بين جيشين مع كل منهما سلاحه، فأيهما غلب الآخر وقهره كان الحكم له"[1].

إن الشر المنبعث في الشخصيات المتخيلة في رواية **وبدأ الظلام** هو شر بدأ من لحظة صراع الانسان مع الشيطان، أي منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم على سطح الأرض، والروائي أراد أن يوضح لنا هذا التفاوت في الرواية، يقول "...إنه هناك في فترة قريبة من ميلاد الكون، الشر البكر والخير البكر في صراعهم المستمر واللانهائي المدمر، إنه في فترة السلام الباردة، الشر ينزف والخير ينزف والأبعاد تتكون وتتلاشى، إنه يعرف الآن أصله وتاريخه، إنه الأرضي ابن عالم النور، إنه الوحيد الذي ينتمي لبعدين مختلفين ويمتلك قواهما معا (...)، إنه الرمز والقائد الذي سيقود الخير في المعركة الأخيرة ضد الشر الذي استعاد قوته بعد ملايين السنين"[2].

فالروائي هنا يتكلم عن **حلمي** الذي اختارت له الأقدار أن يقبع في وجع الشر لوحده، يواجه شرور الخلق ويحكي كيف أنه فقد زوجته واختطفت ابنته، وما كان عليه إلا أن يتألم بصمت ويواجه العنف الكامن في النفوس.

مثّل الشر في الرواية سيروم "خادم السيد المخلص الفذ، تلقى رسالة من سيده غيرت مسار الرحلة، أرسله لأداء مهمة أكثر خطورة، تلقى الرسالة وتوهجت عيناه ببريق مخيف، وتألقت بداخله كل نوازع الشر، كما يتراقص جنود الموت في باحة اللهب، إنه يعرف الآن أن المعركة الفاصلة قاب قوسين أو أدنى من الاشتغال، وفتيلها هو الذي سيشعله، إنه البداية ولكن النهاية لن يكون لها مثيل في الشناعة..."[3].

[1] – سهيلة غلوم حسين، صراع الخير والشر معادلة كونية، مجلة الضوء، 23 أغسطس 2015، ص01

[2] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص70.

[3] – المصدر نفسه ، ص 72.

فسيروم الشرير في الرواية كان يسعى إلى زرع الفتن وتحطيم الآخرين، فقد كلفه سيده بأداء مهمة وهي تحطيم حلمي على كافة الأصعدة.

ومثل الخير **الحكيم ساغور**، يقول السارد عنه "يقول **الحكيم ساغور** حكيم عالم النور، لو علم الطفل ما ينتظره من هول هذه المرحلة من تاريخنا لانتحر في رحم أمه المضيء"[1].

ويصف لنا الكاتب حالة تصاعد الصراع بين الخير والشر، يقول "الشر في أقوى حالاته والخير في أقوى حالاته، الصراع سيكون مروعا والنتائج ستكون وبيلة على الطرفين، كل القوى القديمة والموغلة في القدم تم استدعاؤها، والفصول الأخيرة للمعركة المهلكة بدأت تكتب، لا شيء سيوازي هذه المعركة التي لا ندري لماذا ستبدأ الآن؟، إلا أن موعدها قد حان..."[2] .

ويصف الكاتب كيف أن النصرة للخير دائما، لأنه يتّبع الفطرة، وكيف يُغلب الشر وذلك بعد المعركة التي خاضها **الحكيم ساغور** ضد **سيروم** وأتباعه، يقول "لا أحد في الكون كله سواء أكان في جانب الخير، أو الشر كان يتوقع نهاية هذه المعركة الكونية الأخيرة، فالخير في أوج قوته والشر أيضا، كفتا الميزان متساويتان والنصر للأذكى والأسرع، كان الدمار شاملا في أطراف المجرة حيث احتدم القتال ..."[3].

فالخير دائما يتغلب على الشر، لأنه يتبع الفطرة التي خلق الله عليها هذا الكون، وهو بذرة متأصلة في الجميع، بينما الشر بذرة تزرع نتيجة الصراع في الحياة، والبحث عن تحقيق الرغبات والأهواء على حساب الآخر دوما.

ليبقى الصراع من أجل الخير هو الهدف الأسمى والنبيل في الحياة البشرية، "هدف أسمى من الحياة، أي شجاعة هذه، بل أي ولاء وإيمان هذا، كوكب كامل كان يعرف حقيقة

---

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام ، ص 80.

[2] – المصدر نفسه، 81.

[3] – المصدر نفسه، ص 110.

نهايته، كوكب كامل اختار أن يضحي بحياته وحضارته دون تردد من أجل القضاء على الشر، من أجل أن يعم الكون بالخير"[1].

فالخير إذن يأتي من تلك المبادئ الجميلة التي ينبغي أن يضحي من أجلها الإنسان، حتى وإن كان ذلك أغلى ما يملك.

بعد انتهاء الحرب بين الخير والشر في الرواية يصف لنا الكاتب حالة البطل، يقول "أخذ **حلمي** ينظر حوله في اضطراب وأسى، وهو لا يصدق ما يرى رغم أنه يحاول اقناع عقله، ملايين الجثث في كل مكان، آلاف الضحايا يفترشون الأرض بأجسادهم حوله، والموت يحلق بجناحيه فوق كوكب كامل، كوكب التضحيات، ورغم صلابة **حلمي** إلا أن قلبه لم يتحمل الانفعال وعقله لم يستوعب الصورة، فركع على قدميه وأحاط وجهه بكفيه وأخذ يبكي، لقد كان هو السبب في إبادة جنس كامل"[2].

فمن شدة الصدمة لم يستطع **حلمي** مقاومة رؤية الجثث بعد المعركة، فلو لم يكن مستهدفا ومخير لما خاض معركة تسيل فيها الدماء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حبه للخير.

ويوضح لنا الكاتب كيف أن الرغبة في الحياة وحب ملذاتها من مسببات الشر، يقول "انتفض الكيان الأسود الشرير في بعده الخارق غاضبا وثائرا، ليس بسبب مقتل **سيروم**، ولكن بسبب فشل مهمته، فقد كان يتمنى أن يقضي على جنس العمالقة قبل قيامهم بتضحيتهم الكبرى، ويفقد الخير حليفا خارقا، ولكن الآن ستنقلب موازين المعركة وكل ذلك بسبب أرضي واحد، كانت الأفكار السوداء تموج في عقله المظلم، وفي مبادرة غير مسبوقة قرر أن يشترك بنفسه ليحوز النصر، دوّت الفكرة في تلافيف عقله المظلمة، فاستجمع قواه وانطلق الشر المجسد بكل قوته ووحشيته ليشترك في المعركة الحاسمة"[3].

---

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص120,

[2] –. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، ص124.

فالرغبة المتصاعدة عند هذه الشخصية التي نتجت بعد انهزامهم في معركة، دفعت بها إلى محاولة الخوض من جديد في معركة جديدة من أجل محاولة الفوز ثانية على الخير.

ساهم في تغلب الخير على الشر عاملين هما **حلمي** والجنود النورانيين الذين ضحوا بأنفسهم، وكان الشر هو المعارض في الرواية بزعامة **سيروم** الذي قرر عدم الاستسلام بدوره حتى الموت.

وبعد تقدم الأحداث في الرواية اتضح أن الخير والشر يمثلهما أخوان انشقا عن بعضهما البعض نتيجة اختلاف في أسلوب التفكير والأهداف، فلطالما تجلى هذا الصراع بين الأخوة كرمز يدل على الصراع بين الخير والشر، وكأنه بهذا يعيد قصة قابيل وهابيل التي حدثت من قديم الزمن، منذ نشأة الكون وهبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، منذ ذلك الوقت والفتنة قائمة والصراع يتصاعد، لأن الخلل حدث في الأصل ومس الذات الإنسانية، إذ أن أول صراع في الوجود البشري حدث بين أخوين.

وعند إسقاط كلامنا هذا في الرواية فإننا نجد **الحكيم ساغور** المدافع عن الخير هو في الحقيقة نموذجا عن **هابيل** المضحي، المحب، المدافع والأخ الخير، أما سيد عالم الظلام الذي لم يذكر له الروائي اسما في الرواية فهو نموذج عن **قابيل** الذي تغلبه الأهواء والأنانية، غير أن **المنوفي** في هذه الرواية قفز بشخصية **قابيل** (سيد عالم الظلام)، من العالم البشري إلى عالم ما ورائي غيبي، فنجده قذف بالصراع من صراع بين البشر إلى صراع من نوع آخر كي يخلق الإبداع والتميز والاختلاف، وعلى هذا الأساس تغلب الخير في الرواية وأخذ حلمي البطل مراده وتمكن من انقاذ ابنته، وفي المقابل نجد أن **هابيل** كان ضحية لشر **قابيل**، وبالتالي لم ينتصر وحدث عكس ما جاء في الرواية، لتصبح قضية الخير والشر بين الانسان وأخيه الانسان من بين تلك القضايا الشائكة المتوارثة، على الرغم من أن الكاتب حدد نهاية الشر وعواقبه مهما كانت المرحلة التي وصل إليها، وحتى وإن بدى في الأول منتصرا.

وفي هذا السياق نجد السارد يحكي عن الخلاف القائم بين الأخوة، يقول"...وككل الناجحين كان له أعداء، وهذه المرة كانت الخيانة من أقرب الناس إليه، أخيه، أخوه الذي امتلأ قلبه حقدا وغيرة مما وصل إليه أخوه من مكانة وسطوة وحب، أخوه كان الطعنة النجلاء التي لا حياة بعدها، فحينما يتزاوج الخبث والمكر مع الكراهية والغيرة يولدان سفاحا هو الخيانة، ولأن الخيانة حين تأتي من القريب، من القلب تكون أشد سمكا وفتكا، كانت الخيانة تعويذة سوداء، لعنة خالدة، لعنة ربطت مصيره بكيان ناري لا أحد يعلم مكانه في الكون"[1].

وقصد الكاتب هنا بهذا التعبير إيضاح صور الشر التي تتعدد وتتنوع وتختلف أسبابها، ولعل النجاح هو أهمها، فالخبث والمكر والكراهية والغيرة من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انقلاب الضمائر حتى وإن كانت بين الأخوة.

5. الصراع بين الموت والحياة:

إن ثنائيتا الموت والحياة من بين تلك الثنائيات الهامة في الحياة، لهذا وجدناها تشغل حيزا كبيرا في الكتابات السردية الروائية العربية، وتعتبر مادة سردية خصبة خصوصا وأن "الكاتب يسعى من خلال هذا النتاج الأدبي إلى بعث عالم خاص به عبر المادة اللغوية من فقرات وجمل وكلمات ويسمى بعالم الرواية أو العالم الروائي، وفي هذا العالم يشكل الكاتب رؤيته للحياة وللكون والمجتمع، ولعل الموت هو الوجه الجانبي للحياة باعتبار فكرة الثنائيات المتباينة التي تمنحنا قيمة الأشياء في بعد تجريبي شبه مطلق، فأهمية الحياة تكمن في كونها ضد الموت، وفي هذا الإطار تتنزل الرواية كتشكل للحياة، أو على الأقل جزءً منها، وفيها يكمن الموت كما تكمن الحياة"[2]، ومن هنا ينشأ

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص127، 128.

[2] – جميل فتحي الهمامي، جمالية الموت في الرواية، ينظر الرابط الآتي:
https://www.aljazeera.net/blogs/2018/9/15/%D8%AC%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AA-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8% تاريخ فتح الرابط:25.01.2020، الساعة: 20:48

الصراع، إذ يصبح الموت يمثل ذلك المصير المجهول والحياة هي الجانب الذي يمكن التنبؤ به حسب الحالة المادية والمعيشية للفرد.

وتعتبر ظاهرة الموت "من أكثر الموضوعات الانسانية إثارة للجدل لما يشكله من أطروحات تتعلق بارتباطها الوثيق بحياة الانسان ومغزى كينونته في أبعادها الفلسفية والاجتماعية والميتافيزيقة، والبحث عن جمالية الموت في النطاق الأدبي، ومنه السردي، فالرواية تحديدا تسلط الضوء على البنية الأنثروبولوجية لثنائية الموت والحياة التي استلهمها الكاتب من واقعه كإنسان بالدرجة الأولى، مصيره الموت ككل الكائنات الحية، فالسمة الأساسية هي سيطرة الموت على مفاصل الرواية، وامتدت من فضائها الورقي إلى حقيقة الإنسان سيسيولوجيا، وعلى مستواه الفردي"[1].

فالشخصية الروائية إذن تجد نفسها في صراع من أجل حفظ البقاء، فإما أن تموت وإما أن تحيا وتقضي على الشخصية المعارضة، وفي ظل كل هذا تتحرك الأحداث تحت إطار زماني ومكاني يقود الرواية إلى النهاية، مع وضع نهايات لكلتا الشخصيتان المتصارعتان.

فلطالما كان الموت تلك الظاهرة الغريبة المجهولة التي تشكل هواجس نفسية قوية لدى الإنسان كونه في حاجة إلى حفظ حياته وكونه في سعي دائم نحو الخلود منذ قديم الزمان، فالموت يشكل الحدث الأعظم في حياته ويبقى "رغم تقدم العلوم والحضارة سرا مغلقا ولغزا يستعصي فك شفراته"[2].

رواية **وبدأ الظلام** عالجت سؤال الموت والحياة، وسعت لإظهار رمزيته عبر تلك الصراعات بين قوى الشر والخير، والتي كان يهدف كل طرف فيها إلى الحفاظ على حياته مستعملا كل السبل والوسائل من أجل ذلك، يقول "...فعلى بعد سنتيمترات قليلة

---

[1] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] – أميمة منير جادو، ظاهرة الموت في الأدب العربي، دراسة تحليلية في رواية الهذيان على قبرها لمحمد القصبي أنموذجا، www.ulpit.alwatanvoice.com/25.01.2020/ 21:07.

من وجهي كانت عيناه تتألقان كجمرتين من لهب، وأنفاسه ترتطم بوجهي في مزيج رهيب من الروائح الكبريتية المنفرة، التصق لساني بفمي، ولم أستطع أن أنطق للحظات، ثم تغلبت على غضبي، على خوفي واندفعت قائلا بصوت غاضب:

أين شهد أيها الشيطان؟ أخبرني أين هي وإلا...

قاطعني قائلا بسخرية مقيتة وكأنه يتمتع بعجزي وتعذيبي:

وإلا ماذا أيها الفاني؟ هل تهددني وأنت بين يدي وتحت رحمتي؟، إنني أستطيع أن أمزقك إربا وأسلخ جلدك وأنت حي تتنفس، إنك فشلي الوحيد، خطيئتي الأخيرة، أنت وابنتك من أغضبتم السيد مني، لماذا سطرت بيدك نهايتي ونهايتك؟، أنا أعرف أنه لم يتبق من وقتي الكثير، وأن بديلي سيأتي في أي وقت، ولكن الوقت المتبقي يكفي لأجعلك تعاني آلاما لم يعانيها من قبل بشر"[1].

إن تهديد **مراد لحلمي** هنا هو نتيجة ضغوطات خارجية، إذ اتضح أن **مراد** هو كائن شيطاني في هيئة انسان، ونتيجة مقاومة **حلمي** له وتصديه بعدم تسليم ابنته له اشتعل الغضب، وأخذ الكائن الشيطاني يعذب ضحيته بغية قتله والتخلص منه، لأنه محكوم عليه بالموت إن لم يأت بشهد، وهنا يظهر لنا أن هذا الصراع المبني على الظلم جاء بغية حفظ الحياة والخوف من السيد، وبالتالي تحول الصراع بين هذين الشخصيتين إلى صراع بين الموت والحياة.

ونجد في الرواية **مراد** يصف **حلمي** بالفاني، أي الانسان المحكوم عليه بالفناء والموت، وينفيه عن نفسه لأنه كائن شيطاني وجندي من جنود عالم الظلام، يقول "نظر إليّ بنظرة تطل منها نيران الجحيم، ثم قال بصوته العميق:

أنا أستطيع أن أفعل بك ما أشاء وقتما أريد، أيها الفاني القذر، ثم إني لست مراد ولست بصديقك، ألا ترى أيها الفاني؟ ما كان مراد إلا غلافا بشريا الهدف منه أن تقبل أن تدعوني إلى منزلك، أتعرف أيها الفاني هذه هي مهنتي الأولى والأخيرة، ثم سأنتهي هنا

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص25.

في عالمكم ولن أعود مرة ثانية للامتزاج بالسيد، ولكني أنوي أن أريك من العذاب ما ستتمنى معه الموت ألف ألف مرة"[1].

من هنا يتضح لنا أن الروائي يعالج قضية الموت والحياة من خلال مخلوقين ليسا من نفس التركيبة، ويشرح كيف أن الانسان يتعرض للآلام والعذاب في سبيل حياته وحياة من يحب، والدليل مقاومة البطل للعذاب، ومنه ظهرت لنا رغبته الشديدة في العيش وخوفه من الموت.

ومن الشخصيات التي كان مصيرها الموت في الرواية شخصية **وفاء** زوجة **حلمي** التي ماتت محروقة بعد صراع طويل مع الشبح ذو العيون المشتعلة والأحلام المزعجة التي كانت تراودها كلما ذهبت للنوم، ليأتي بعدها زوجها فيجدها جثة متفحمة، يقول: "انقضّت عليها النيران لتحيلها إلى جثة متفحمة، ومن هول ما يحدث أو لسبب لا نعلمه احترقت وفاء دون أن تطلق صرخة واحدة"[2].

فرغم محاولتها ومحاولة زوجها حمايتها وتهريبها من الموت إلا أنه لم يستطع ذلك، وحدث ما كان يخشاه في حين غفلة منه، الأمر الذي يكشف حتمية الموت وحتمية المصير المحتوم.

يحكي الروائي عن طريقة موت الشر في الرواية، يقول "انتفض الكيان الأسود الشرير في بعده الخارق غاضبا ثائرا هادرا، ليس بسبب مقتل **سيروم** أو مخلوقات البيرومونت، ولكن بسبب فشل مهمة **سيروم**، كانت الأفكار السوداء تموج في عقله المظلم، وفي مبادرة غير مسبوقة قرر أن يشترك بنفسه في المعركة وأن يحرز النصر بيده، لن يوقفه شيء، ولن يمنعه شيء، أي شيء ليحوز النصر، دوّت الفكرة في تلافيف عقله المظلمة فاستجمع قواه، انطلق الشر المجسد بكل قوته ووحشيته ليشترك في المعركة الحاسمة، مخترقا قوانينا ونواميسا وحدودا وروابطا ما كان له أن يخترقها، إنه يجازف بخلوده وحياته

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص26، 27.

[2] – المصدر نفسه ، ص41.

مقابل طموح زائل، ولكنه القدر فمتى آن أن تأتي النهاية أتت، ولن ينتهي أي شيء إلا حينما ينتهي، انطلق في الممر وخلفه يتهاوى عالم كامل، عالم ظل آلاف السنين يموج بالبرودة والشر والطموح الذي لا يعرف نهايته، كانت الانطلاقة تقصم روابط وتكون لعنات، ولكن الطموح البشري لا يقف أمامه أي شيء إلا الموت، والموت فقط"[1].

فهذا الكائن الأسود الشرير في الرواية هو ممثل الشر الذي لم يكتف بالهزيمة التي لحقت بأقرانه، وقرر خوض المعركة بنفسه عله يحقق الانتصار ويقضي على جنود عالم النور كي يحفظ بقاءه بدوره، ولأن الخير دائما يفوز على الشر مات هذا الكائن كباقي أقرانه، ليتأكد قبل ذلك بأن الموت هو مصير الجميع ولا مفر منها، وأن الحياة عندما تقدر فهي بأجل معلوم.

ولعل القضية التي أراد المنوفي معالجتها من خلال الصراع بين ثنائيتي الموت والحياة هي حتمية الموت مهما طالت الحياة أو قصرت، وأن تيمة الموت كتبت على جميع الكائنات وأنه لا خلود إلا لفعل الخير، وهذا ما استنتجناه من ذلك الصراع الذي قام بين عالمين مختلفين، العالم البشري وعالم الشياطين.

وعلى الرغم من أن هذا الصراع متخيل بين شخصيات متخيلة حدث على أنه يحمل عديد القيم الفلسفية والروحية، وما هو إلا طريقة لفضح وإبراز التناقضات في الحياة والنهايات الحتمية لكل المخلوقات.

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص 124، 125.

6. الصراع بين عالم النور وعالم الظلام:

تشكل الحدث الروائي في الرواية على الصراع بين عالمين مختلفين ومتباينين، هما عالم النور وعالم الظلام، الأول هو المدافع عن الخير وكل القيم النبيلة، والثاني يدحض الخير ويسعى لنشر الشر والفتن والقتل والخيانة، وتحكي الرواية أن الصراع بين هذين العالمين اشتد من أجل انقاض فتاة صغير نصفها بشري ونصفها نوراني، فسخر لها الحكيم **ساغور** مملكة من الجنود كاملة، يقول السارد واصفا حالة التأهب للصراع "نظر المرشد باهتمام إلى حركة الجموع الغفيرة التي أخذت تتجمع أمام بوابة الأبعاد استعدادا للانتقال إلى الواقع التمهيدي للمعركة القادمة، كانت الجموع تتدافع بحماس من أجل القضاء على عالم الظلام، كانت كل المشاهدات تأتي لصالح عالم النور، فالخفاء في كل الأبعاد قد سئموا الاستسلام لشرور قوى الظلام وطغيانه، والجميع كانوا على استعداد للموت في سبيل أن يفنى عالم الظالم بثانية واحدة، وحتى البشر المختارون بداخلهم استعداد طاغ للموت في سبيل القضاء على قوى الظلام، كان يتطلع إلى أعوانه البشريين وبداخله شعور عارم بالسرور، فهاهم أتباعه قد وثقوا فيه واتبعوه، وقد حملوا أرواحهم على أكفهم، إن مهمتهم بدأت في التكامل، كانت الاستعدادات تتم على قد وساق، وبوابة العد الانتقالي بدأت في التوهج معلنه بدء تسلسل الانتقال..."[1].

فالصراع إذن كان بين عالمين مختلفين، **وحلمي** كان جنديا من جنود عالم النور وممثل البشر، مهمته محاربة الشر، أصبح أقوى من قبل "بدأ يبسط سلطانه في كل مكان، كان الشر يغزوا القلوب والعقول ويكسب كل معركة يدخلها مع الخير، تفرق البشر جماعات وأحزاب وكونوا كيانات هائلة من الخير وكيانات أضخم من الشر وانقطعت الصلة العقلية بين البشر، ظهر الأسياد والعبيد، ظهر الغني والفقير، ولكن ليس الغنى والفقر المادي، بل الفقر والغنى للقوى والقدرات العقلية، بدأت مرحلة هائلة من الغزو

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، ص76، 77.

العقلي للكون، دخل الشيطان اللعبة وبدأ يفتح أمام قوى الشر خزائن الأسرار المدفونة والقوى المهلكة..." [1].

كشف الصراع بين هذين العالمين في الرواية عن فلسفة عميقة في فكر الكاتب، إذ سعى إلى إبراز شرور النفس وآثامها، آمالها والوسائل التي تتبعها بغية تنفيذ أهوائها، كما فسر لنا طرق تشكل الشر ووقوفه ضد الخير، ومعاناة حلمي ذلك الكائن البشري في الرواية ما هي إلا نموذج عن معاناة أمم كاملة ضد شياطين الأنس والجن، ومحاربته لقوى الشر ما هي إلا عبرة لغلبة الحق والخير على الباطل وسيأتي ذلك الوقت الذي سينتهي الإنسان من كل معاناته، إما بتحقيق مراده أو بالموت الذي هو حقيقة محتمة على الجميع.

ويذكر الكاتب أن سبب الصراع بين هذين العالمين هو في الحقيقة راجع إلى صراع بين الأخوة، يقول عن حكيم عالم النور، "وككل الناجحين كان له أعداء، وهذه المرة كانت الخيانة من أقرب الناس إليه أخيه، أخوه الذي امتلأ قلبه حقدا وغيرة مما وصل إليه أخوه من مكانة وسطوة وحب، وأخوه الذي كان الطعنة النجلاء التي لا حياة بعدها... "[2].

فسبب الصراع بين أي طرفين يكون بسبب شرور النفس وأمراضها من غيرة وحقد، حتى وإن كان هذين الطرفين هما إخوة، ولعل الكاتب رسم لنا من خلال هذه العلاقة التي تربط ممثلا عالم النور والظلام أن يعيد لنا قصة آدم عليه السلام وولديه **قابيل وهابيل** كما سبق أن أشرنا، وقاد الأخوان حربين، الحرب الأولى انهزم فيها ممثل عالم الظلام الأمر الذي أشعل في نفسه نار الفتنة وقرر الدخول مع أخيه في حرب ثانية، ولم تكن تهمه الخسائر التي تكبلها كلا الطرفان، بل كان كل همه إبراز ذاته على حساب أخيه، لكنه للأسف لاقى ردا قويا لأن أخاه توقع منه ردة فعل كهذه، وانهزم ثانية لتنتصر راية

[1] – عمرو المنوفي، وبدأ الظلام ، ص91.

[2] – المصدر نفسه، ص 127.

الخير ويستطيع **حلمي** استرداد ابنته على الرغم من أنها بقيت في غيبوبة لا يدري متى ستفيق منها.

في آخر هذا الفصل نستطيع أن نقول أن الصراع المتأتي في الرواية قد مثل عدة جوانب منها الجانب الأيديولوجي الحضاري النفسي، كما استطاع أن يبرز طبيعة الصراع بين الخير والشر، وهو صراع قديم قدم التواجد البشري وقدم الكون في حد ذاته، كما أبرز حتمية الموت وحب الحياة وذلك عبر النزاع القائم بين عالمين مختلفين سماهما الكاتب عالم النور وعالم الظلام، ولعل الرواية في حد ذاتها قد بُنيت على أحداث متخيلة بحتة، إلا أنها ترجمت فلسفة الكاتب وتوجهه الأدبي الإبداعي.

خاتـمـــــة

أقف في نهاية هذا البحث لأجيب عن إشكالاته، وألخص أهم النتائج المتوصل إليها:

– إن الإجابة عن مفهوم الصراع تطلّب تقسيمه إلى شقين لبسط مفهومه، شق لغوي وآخر اصطلاحي؛ من المفهوم اللغوي بدا أن الصراع يفيد معنى الطرح على الأرض والعلة التي تصيب الجسم، كما يعني المقاومة والشدة والنزاع والخصام. في حين أخذ المصطلح من الناحية الاصطلاحية عدة مفاهيم نظرا لما لقيه من تعدد في الدراسة؛ ففي المجال الأدبي يحمل الصراع معنىً فنيا ونقديا لا يراد به المعنى اللغوي الصرف، بل يقصد به الصراع بين الشخصيات والصراع بين المبادئ والأفكار، أو الصراع بين الشخصية ونفسها، وترددها بين المواقف المتباينة.

–تجلى الصراع في رواية وبدأ الظلام على مستويين، المستوى الخارجي والمستوى الداخلي.

❖ تمثل الصراع على المستوى الخارجي في بنية الرواية ظاهريا، أي من جهة تقنياتها التي بنيت عليها (أقصد هنا الشخصية، الزمن، المكان).

– ظهر الصراع في الشخصية من خلال صراعها مع ذاتها، وأعني هنا البطل دون غيره، لأنه كان المقصود ومحور جريان الأحداث في الرواية.

– يظهر الصراع عند البطل مع نفسه من خلال تلك الهواجس والمخاوف والحوارات النفسية، والارتدادات نحو الماضي مع سعيه الدائم والدؤوب لإيجاد حلول لكل مشاكله.

–ظهر صراع البطل مع باقي الشخصيات من خلال صراعه مع **مراد** بداية و**سيروم** ثانية.

–تجلى الصراع في الزمن في صراع الزمن الماضي والزمن الحاضر، وبين الزمن الحاضر وزمن المستقبل، وبين زمن الماضي وزمن المستقبل.

–تمثل الصراع في الأماكن من خلال الأماكن المغلقة والمفتوحة.

-الصراع في الأماكن المغلقة مس كلا من المنزل، القبو، المطبخ.

-الصراع في الأماكن المفتوحة مس الشاطئ فقط، لأنه المكان الوحيد من هذا النوع الذي برز فيه الصراع بشكل واضح.

-كان معيار إبراز الصراع في الأماكن هو تحديد تلك الأماكن التي حوت صراع الشخصيات مع بعضها البعض.

-اعتمد الروائي، لتقديم الصراع في الرواية، الصعود بالحدث الروائي، إذ جعل من موضوعه الصراع بين عالم النور وعالم الظلام أداة تتحرك بواسطتها الشخصيات داخل إطار زماني ومكاني.

❖ تشكل الصراع على المستوى الداخلي عبر عدة مظاهر هي:

-الصراع الأيديولوجي أبرزه الكاتب من خلال فلسفة من يحكم الأرض والصراع من أجل السلطة، وفيه احتوى النص الروائي عدة أيديولوجيات وتبنى الفلسفة الأيديولوجية للكاتب والرؤية الكونية.

-يمكن التعبير عن الصراع الحضاري في الرواية بعنصرين هامين هما: الصراع الاجتماعي والصراع الديني.

-الصراع الاجتماعي أبرز التفاوت بين عالمين متناقضين من حيث التركيبة، الأفكار، والحياة في حد ذاتها.

- الصراع الاجتماعي في الرواية تجلى من خلال صراع البطل مع غيره من الشخصيات، وكأن الكاتب بهذا يخبرنا أنه صراع حتمي ولا بد منه، لأن التفاوت الاجتماعي سنة الحياة، وعليه وجدناه في صراع البطل مع شخصيتي **مراد وسيروم** خاصة، ومع عالم الشر عامة.

- الصراع الديني أبرز الاختلاف في الاعتقاد وآثار ذلك على الأفراد، وكيف يتكاثر الغل والخوف والخيانة والكراهية نتيجة الخلل في التوجه الديني والمعتقد.

– ظهر الصراع النفسي في الرواية عبر عدة أوجه لعل أهمها صراع البطل مع نفسه في تلك الحوارات التي كان يخوضها في عقله الباطني، وفي الألم والخوف والحزن وتصاعد القلق لدى الشخصية المحورية وكذا الشخصيات الثانوية.

–لعل في إبراز الصراع بين الخير والشر في الرواية رسالة وهدف هو أن الدوام للخير، وأن الشر فانٍ لا محالة، حتى وإن كان هذا الأخير يملك كل المقومات والأسباب.

–حملت الرواية فلسفة عميقة من خلال الصراع بين الموت والحياة، فرغم محاولة **مراد** النجاة بنفسه وتطبيق الأوامر على **حلمي** كي يحافظ على حياته إلا أنه مات، حتى وإن كان مخلوقا من نار، ونفس الأمر حدث مع **سيروم** الذي قاوم مرارا ولكن نهايته وحقيقة الموت سبقته. وبهذا تكون الرواية قد عبرت عن حتمية الموت وفلسفته التي مضمونها أنه لا خلود لأي مخلوق إلا بفعل الخير.

– أكد الصراع بين عالم النور وعالم الظلام أن الغلبة دوما للطيب المفطور على حب الخير، حتى وإن كان المتصارعان أخوين، فإن الغلبة دوما لصاحب الحق وأن أمراض النفس هي سبب هلاكها.

هذه هي أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، الذي آمل أن يكون نقطة انطلاقة لبحوث قادمة.

قائمة المصـــــــادر والمراجـــــــع

القرآن برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

1. عمرو المنوفي، وبدأ الظلام، دار عصر الكتب، ط1، 2009.

ثانيا: المراجع بالعربية:

2. إبراهيم عباس، الرواية المغاربية الجدلية التاريخية والواقع المعيش، دراسة في بنية المضمون، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، (دط)، 2002.
3. إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1975.
4. بان البنا، الفواعل السردية في الرواية الإسلامية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.
5. بكري خليل، الأيديولوجيا والمعرفة، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
6. جورج سالم، المغامرة الروائية (دراسة في الرواية العربية)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1973.
7. حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط7، 1990.
8. حميد الحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، من سيسيولوجيا الواقع إلى سيسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
9. خليفة عبد الرحمن وفضل الله محمد إسماعيل، المدخل في الأيديولوجيا والحضارة، مكتبة سبتان للطباعة والنشر، الإسكندرية، (دط)، 2006.
10. خير الله عمار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، الدار الجامعية، الجزائر، (دط)، 1982.

11. دريدي يحي الخواجة، إشكالية الواقع والتحولات الجديدة في الرواية العربية، دراسة وعي المجادلة –الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية–، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دط)، 1999.

12. سالم المعوش، الأدب وحوار الحضارات، المنهج–المصطلح–النماذج، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (دت).

13. سهيل إدريس، الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط7، 1977.

14. شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، المطبعة الجامعية، الجزائر، ط1، 1985

15. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب كيلاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.

16. عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط7، 2003.

17. عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت).

18. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998.

19. عبد الوهاب الرقيق، في السرد، دراسات تطبيقية، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ط1، 1998.

20. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص165.

21. عزيزة دريدي، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، (دط)، 1980.

22. علي أحمد باكثير، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1984.

23. عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2010.

24. عمرو عيلان، الأيديولولجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، (دط)، 2001.

25. فاطمة الزهراء أزرويل، مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، منشورات الفنك، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، (دت).

26. فتيحة كحلوش، بلاغة المكان –قراءة مكانية في النص الشعري– مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

27. فضيل دليو، دراسات نقدية، علم الاجتماع المعاصر، ثنائية النظرية والمنهجية، مؤسسة زهراء للفنون المطبعية، الجزائر، (دط)، 2001.

28. فضيلة درويش، سيسيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (دط)، (دت).

29. فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001 .

30. كمال غنيم، عناصر القصة القصيرة، الجامعة الإسلامية، غزة، (دط)، 2015.

31. مجموعة من الكتاب العرب، الرواية العربية، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، 1984.

32. محسن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1978.

33. محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدولاي، عمان الأردن، ط1، (دت).

34. محمد علي التاهوتي، كشف اصطلاحات الفنون، تصحيح المولودي محمد وجيه وآخرون، طبعة موسيتي بنكال، (دط)، (دت)، مج1، 1862.

35. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط6، 1983.

36. مصطفى التواتي، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1986.

37. مها حسين القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004

38. نادية عيشور، الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2008.

39. ناصر الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية، دار المادي الأدبي، الرياض، ط1، 2009.

40. نجيب الكيلاني، حول المسرح الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1987.

41. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار المعارف، دمشق، سوريا، ط1، 1999.

42. نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006.

ثالثا: المراجع المترجمة:

43. داروني جيمس و بالستغرف روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، (تر) وليد عبد الحي، دار كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1985.

44. رالف بارتون، إنسانية الإنسان، (تر)، سلمى الخضراء الجيوسي، دار المعارف، بيروت، لبنان، (دط)، 1961.

45. غاستون باشلار، جماليات المكان، (تر) غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

46. فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، (تر) سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، (دط)، 1990.

رابعا: المعاجم والقواميس:

47. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إسطنبول، تركيا، ج1، (دت).

48. جمال الدين ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط)، ج8، 1996.

49. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللساني، لبنان، ط1، مج1، 1971.

50. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1991.

51. مجموعة من المؤلفين، المنجد الأبجدي، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط5، 1975.

خامسا: المجلات والمقالات:

52. إبراهيم الخطيب، هل نحن أمام صراع ديني؟، مجلة دنيا الوطن، ع05، ط2، (دت).

53. جنات زراد، الصراع الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف، مجلة إشكالات، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، ع09، ماي 2016.

54. زيات فيصل ومخطار ديدوش محمد، نظرية الصراع الاجتماعي من منطق كارل ماركس إلى منطق داهر ندوف، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، جامعة جيجل، مج2، ع01، 2019.

55. سامية إدريس، صور الصراع في رواية ص لزرياب بوكفة –قراءة في المضمون–، مجلة الخطاب، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، مج13، ع1، (دت).

56. سامية ربيعي، في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، ع2، 2016.

57. سهيلة غلوم حسين، صراع الخير والشر معادلة كونية، مجلة الضوء، 23 أغسطس 2015.

58. عبد الباسط المراح، تمثيل الصراع في رواية أرض الحب لحبيب الرحمن الشيرازي من خلال نظرية لويس كوزر، مجلة اللغات والدراسات الثقافية، نيجيريا، 2017.

59. ناصر السيد نور، صراع الرواية والواقع، مجلة الرواية نات، 22 سبتمبر 2018.

60. هاجر مدقن، حقيقة الصراع ووهم المكاشفة بين الروائي والراوي في رواية سأقذف نفسي أمامك لديهية لويز، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مجلة تقاليد، ع8، 2015.

سادسا: الرسائل والمذكرات الجامعية:

61. أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني، رسالة ماجستير، إشراف عكاشة شايف، جامعة تلمسان، 1993، 1994.

62. صابر حفيظة، أعمر صابر نسيمة، الصراع الحضاري في الرواية العربية الجزائرية، رواية المرفوضون لإبراهيم السعدي أنموذجا، إشراف بن جماعي أمينة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة تلمسان، (دت).

سابعا: المواقع الالكترونية:

63. أميمة منير جادو، ظاهرة الموت في الأدب العربي، دراسة تحليلية في رواية الهذيان على قبرها لمحمد القصبي أنموذجا،
www.ulpit.alwatanvoice.com/25.01.2020/ 21:07.

64. جميل فتحي فتحي الهمامي، جمالية الموت في الرواية، ينظر الرابط الآتي:

65. سالم الصباغ ، تاريخ الصراع بين الخير والشر– قراءة من منظور ديني، مجلة أمة واحدة، 14:21. 22.01.202/ www.omawahida.com/

66. ياسين الجبلاني، صراع الشخصية الإنسانية.. بين الخير والشر. ينظر الرابط: http://alrai.com/article/739417.html. تاريخ فتح الرابط: 22/ 01/ 2020، الساعة: 13:55.

67. http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Fenon-Elam/senario1/SEC06.DOC_cvt.htm 25.01.2019/ 15:55.

https://www.aljazeera.net/blogs/2018/9/15/ تاريخ فتح الرابط:25.01.2020، الساعة: 20:48.

68. www.alrai/article.com /22.01.2020/ 13:55.

فهرس الموضوعـــــات

مقدمة.....أ–د

مدخل: 09

1.مفهوم الصراع :.....11

أ. لغة.....11

ب.اصطلاحا.....12

2.الصراع في الفكر البشري.....15

3.أشكال/أنواع الصراع.....18

1.3/ الصراع النفسي.....18

2.3/ الصراع الاجتماعي.....19

3.3/ الصراع الديني.....20

4.الصراع في الرواية.....21

الفصل الأول: الصراع الخارجي في الرواية.....24

1.صراع الشخصيات في رواية وبدأ الظلام.....26

1.1/ مفهوم الشخصية.....26

أ. لغة.....26

ب. اصطلاحا.....27

2.1/ صراع البطل مع نفسه في الرواية.....29

3.1/ صراع البطل مع الشخصيات.....31

2. صراع الزمن في الرواية.....35

1.2/ مفهوم الزمن.....35

أ. لغة.....35

ب. اصطلاحا.....35

2.2 / الصراع بين الزمن الماضي والزمن الحاضر في الرواية.....37

3.2/ الصراع بين الزمن الحاضر وزمن المستقبل في الرواية.....39

3.3/ الصراع بين الزمن الماضي وزمن المستقبل في الرواية.....41

3. الصراع في المكان في الرواية.....43

1.3/ مفهوم المكان.....43

أ. لغة.....43

ب. اصطلاحا.....43

2.3/ الصراع في الأماكن المغلقة والمفتوحة.....45

1.2.3/ الصراع في الأماكن المغلقة.....45

-البيت..... 45

-القبو..... 47

-المطبخ.....48

2.2.3/ الصراع في الأماكن المفتوحة..... .50

-الشاطئ.....50

الفصل الثاني: الصراع الداخلي في الرواية.....51

3.الصراع الأيديولوجي (الفكري).....53

أ. الأيديولوجيا لغة.....54

ب.الأيديولوجيا اصطلاحا.....54

ج.الصراع الحضاري.....58

1.2/ الصراع الاجتماعي.....59

2.2/ الصراع الديني.....64

3. الصراع النفسي.....66

1.3/ الصراع النفسي الداخلي.....67

2.3/ الخوف.....68

3.3/ القلق.....70

4.3/ الحزن.....71

5.3 / الألم..... 72

4. الصراع بين الخير والشر.....74

5. الصراع بين الموت والحياة.....79

6. الصراع بين عالم النور وعالم الظلام.....84

خاتمة.....89

قائمة المصادر والمراجع.....91

فهرس الموضوعات.....99

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن تجليات الصراع بكل أنواعه في رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي، والتي يظهر فيها في شكلين: داخلي وخارجي؛ الداخلي بين الشخصيات ذاتها (مع نفسها)، ويتمظهر أكثر في الصراع النفسي، وفي الصراع بين الخير والشر,

والخارجي بين الشخصيات (فيما بينها)، ويتجلى في عدة مستويات فكرية مثل: الصراع الإيديولوجي، الحضاري... كما بدا، أيضا، بين الموت والحياة، وبين عالم النور وعالم الظلام. وكذلك في الزمان والمكان باعتبارهما اللبنة الأساسية في كل رواية.

Abstract:

This study aims to search for manifestations of conflict of all kinds in Amr Al-Menoufi's novel “The Dark Begins”, in which it appears in two forms: internal and external; The interior is between the characters themselves (with themselves), and is more apparent in the psychological conflict, and in the struggle between good and evil

And the external is between the characters (among them), and it manifests itself in several intellectual levels, such as: the ideological, civilizational struggle ... as it appeared, too, between death and life, and between the world of light and the world of darkness. As well as in time and space as they are the basic building block of every novel.